كنيسة القديسين مارمرقس الرسول
والبابا بطرس خاتم الشهداء
اقرأ وافهم
روايات إيمانية
أيام فى نجران
2

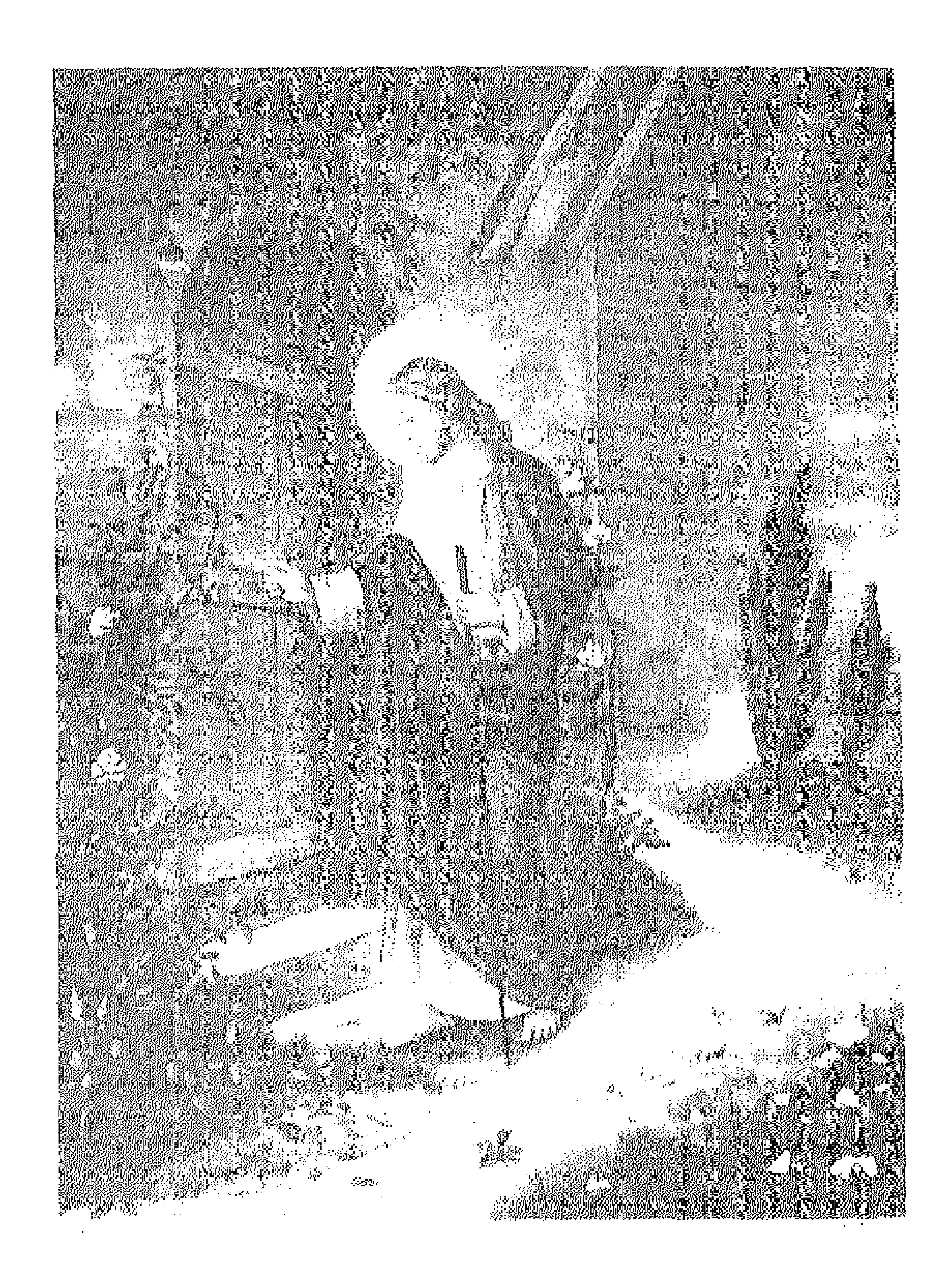
جمهورية مصر العربية

كنيسة القديسين مارمرقـــس
والبابا بطرس خاتم الشهداء

اقرأ و أفهم
روايات إيمانية



طبعة ثانية



الفصل الأول : كريس ولمباس

انه سار طويلاً ومازال يسير ...

يسير والساعات تمرُّ دون أن يدرى ..

خرج من دائرة ذاته وصار يهيم في عالمٍ آخر ..

ترك خلفه المدينة وسار بعيداً حتى اختفت كـل المعـالم مـن مباني وطرق وخلافه .. يسير في صحراء شاسعة ، ورغم الألـم النفسي العميق الذي يجتاحه فإن نفسه التي تلهث وراء اللامحدود تناغمت مع الصحراء التي تبدو بلا حدود .

. إنه سار طويلاً ومازال يسير ... نسيَّ الطعام والشراب وكـل شئ ، بل إنه يكاد ينسى نفسـه .. مـن هـو؟! مـن أيـن ؟! إلى أين؟! لماذا؟! كيف؟! ..

علامات الاستفهام تتطاير أمامه تطـارده وتدفعـه للأمـام دون توقف، فعجز عن إيقاف ساقيه النحاسيتين .. أشعة الشمس تلفـح وجهه الروماني الجميل وتلسع عضلات جسمه المفتولة فيتصبب

عرقاً مما يهدّده بالجفاف القاتل، وضع في قلبه أن يخرج من كل شئ ويتحدى كل شئ لذلك تجده يتحدى شمس الصيف الحارقـة ، ولا يفكر في مظلة واقية لأن الصحراء جرداء بلا مظـــلات ولا سواتر ومع هذا فقد صرف التفكير تماماً عن العودة إلى مدينتـــه الدامية ، بل يجِّد في السير كأنه في مهمـــــة عســكرية عاجلــة وخطيرة .

إنه سار طويلاً ومازال يسير... منذ وُلدِ ضوء الصباح الباكر لا يكفَّ عن المسير ، وهوذا الشمس مالت للغـــروب .. مـــات النهار ودُفنِ خلف الشمس الغاربة .. أدركـــه الظـــلام ومـــازال يسير.. لم ينصت لصوت الحكمة " سيروا مادام لكم النور لئـــلا يدرككم الظلام" تعثرت قدماه وترنَّح جسده .. سقط مرة ومـرات ونهضَّ ، وكل سقطة على الأرض شبه الصخرية تلوِّن جزء من ساعديه أو قدميه باللون الأحمر الذي وإن لم يره لكنه يحســـه .. أخيراً سقط ولم يعد يقوى على النهوض بعد أن نال منه التعب ما نال ... أغمض عينيه وتاه في نوم ملؤه الحزن والكمد والألم .

نام ولم يوقظه ضوء الصباح ، ولكنه نهض مذعوراً مـــن يــد

تهزّه هزات عنيفة فأستل سيفه ليهوى به على عنق رجل طيب إنحنى عليه في حب وحنان يفتقد سلامته .

رفع سيفه وظل السيف معلقاً في الهواء لا يقوى على دفعه ليشق الرجل نصفين ، وإذا بشعاع من نور يخترق قلبه ، ووميض يبرق في عقله ، وصوت لطيف يهمس في أذنه: إنك هارب من الدماء فلماذا تتعجل سفك الدماء؟! هل تبيَّنت هوية الرجل وهدفه ومقصده وجريمته ؟! هل هو عدو أم حبيب ؟! .. لا..لابد أن يكون عدواً .. عدوٌ هو بالحقيقة .. لماذا ؟ ..لأنه صلَّب عليَّ فظلَّت يدي مرفوعة ، وهوذا يُصلِّب على نفسه ..إنه من اتباع المصلوب .. المصلوب الذي سلبني كلَّ شئ .. أختي كريس وحبيبتي لمباس ، وتشدَّد الفارس الروماني ثانية محاولاً أن يهوي بسيفه على رأس الرجل القابع في سلام ، ولكنه تأكد أن هناك قوة غير منظورة تقف له بالمرصاد وتمنعه من إتيان الدماء في هذا الصباح المبارك .. نظر إلى عينيّ الرجل فإذا هما حمامتان ممتلئتان بالسلام..لا أثر للخوف أو الاضطراب أو الانزعاج .. رأى في عينيهِ عينيّ حبيبته لمباس التي كان يحلَمُ

بالزواج منها .

فعاد وجمع كل ما لديه من قوة وأطاح بسيفه بعيداً بعيداً ، وسقط على ركبتيه وانطلقت آهة في أعماقه : " إنني أكرهك أيها المصلوب .. أمقتُك .. أمقتك .. أمقتُك " وبحنان بالغ ربَّت الرجل على كتف القائد الروماني دون أن ينطق ببنت شفة، فالرجل الحكيم يعرف متى يحلو الصمت ومتى يحسُن الكلام .. نهض وأنهَّض القائد متأبطاً ذراعه .. وسار والقائد معه يسير كأسير إلى قدرهِ الجديد، ومازال الرجلان يسيران نحو الساعتين حتى لمح القائد مبنى يبرز قليلاً عن سطح الصحراء الشاسعة فأدرك أنه مأوى الرجل وبيت القصيد .

وفى فناء البيت المبنى بالطوب اللبن وجد الفارس ماء الحياة فشرب وارتوى بعد أن كاد الجفاف يقتله ، وامتدَّت يد الحب تغسل الجروح وتطهرها، وقد جلس على مصطبة من طين يحسد الرجل البسيط الذي تبدو عليه علامات الطمأنينة والسعادة .. حقاً إن السعادة الحقيقية ليست في المقتنيات .. ثم احضر الرجل طست ماء وضعه بجوار أقدام الفارس الذي أدرك أن هذا الماء

لغسل الأرجل فأخذ يفك رباط حذائه الروماني وهو يتعجب من هذا الرجل الذي يهتم حتى بأقدامهِ .. إنحنى الرجل أمام القائد الذي تعجب وظن انه يبحث عن شئ سقط منه.. جال القائد بنظره فلم يعثر على شئ ولم يجد شيئاً غير طست المياه .. مدَّ الرجل يديه ممسكاً بأقدام القائد الذي دفعه بلطف، والرجل مُصِر على ما يريد . محاولات هادئة صامتة من كلا الطرفين تنتهي بتسليم الفارس ليس قدميه وساقيه فقط بل نفسه بالكلية لهذا الرجل المبارك الطوباوي ..فالحب أثره، والسلام والهدوء والسكون سكّن الآم الجراح ، ومن يداوى الأسد الجريح؟!

غسل الرجل الطوباوي أقدام الفارس ونشّفهما بالمنشفة.إنه عمل العبيد الذي أجادهُ هذا الرجل الحر الشريف إكراماً لخاطر حبيبه الذي صار عبداً من اجله .. ثم أعدَّ أمامه مائدة غاية في البساطة. خبز جاف بلّله بالماء، وقطعة من الجبن القديم وخمس حبات من الزيتون... تنهد الفارس قائلاً في نفسه : ربما هذا الرجل يكرم وفادتي لأنه يظن أنني مثله طريد العدالة الرومانية، ثم قال : يا رجل أنني فارس روماني أحب آلهتي وأعبدها بصدق وأمانة ..

كنتُ في حفلة لتكريم الألهة بالكولوزيوم العظيم وكان ما كـان .. يا رجل أنني أبغض إلهك المصلوب وأمقُته حتى إنه لـو عـاد للحياة لسمَّرته على الخشبة ثانية .

وبحنان بالغ احتضن الرجل الفارس كـأم تحتضـن وليدهـا.. استراح قلب الفارس وتأثر حتى أنه ودّ لو يقدر أن يبكى، ولكـن أين الدموع ؟! .. فان مشاعره تحجرت منذ زمن طويل، ومـن تحجرت مشاعره جفت دموعه.. مدَّ يده ليأكل، ولكنه فقـد كـل رغبة في الطعام بل ربما كل رغبـة فـي الحيـاة أيضـاً، وإذا بالبركان ينفجر فيطلق لسانه حمماً من داخله، وعيني الرجـل اللتان تفيضان عطفاً وحناناً تشجعانه على الإباحة بكل سره الذي كنَه في قلبه ، فصار مثل نار في هشيم تحرقه وتحطمه :

أنا فليمون ابن القائد الروماني العظيم" فاديان فنتينـوس " قـائد الحرس بجزيرة فاروس .. الرجل الذي عاش عابداً في محـراب روما ومات شهيداً من أجل عظمـة الإمبراطوريـة الرومانيـة العظمى التي لا تغرب الشمس عن أراضيها.. كانت كل آمـالي وأنا صغير أن أصير قائداً عظيماً مثل أبى ، وقد حقّقت الآلهـة

رغبتي هذه.. صدرتْ لي الأوامر كالعادة للقيام بحملـــة تطـــهير ضد المسيحيين ، وكالعادة أيضاً كان يساعدنا رجـــال الحـــرس السري... دخلنا عدَّة بيوت في أطراف المدينة وقبضنا على عدد لا بأس به من أولئك الملاعين الذين اعـــترفوا بأنـــهم يتبعـــون المصلوب ، وقد أشاع هذا الفرح والراحة في نفسي لأن غضـــب الآلهة بسبب انتشار المسيحية أكثر ما يأتي يـــأتي علينـــا نحـــن الجنود والقادة في ميادين القتال.. همس أحـــد رجـــال الحـــرس السري في أذني فأطلقت بعض من رجالي مع المقبوض عليـــهم إلى المعسكر ، وأبقيتُ البعض الآخر من أبطالي وانطلقنـــا فـــي طريقنا والحرس السري يتقدم خطانا ونحن ننشد نشـــيد " رومـــا حبي " .. طالت المسيرة ودخلنا في الصحراء حيث لا مبنـــى ولا طريق ولا معالم تدلك على شئ ، فكل شئ مثل كلِ شئ.. شكَّيتُ في مصداقية رجل الحرس السري فرميته بنظرة قاسية ولاســـيما أن شمس الصيف الحارقة تلسع أجسادنا وليس لدينا الماء الـــذي يروي ظمأ الظهيرة.. همس الرجل ثانية في أذني وظللنا نسـير.. توقف الرجل ولصق يده بأذنه يسترق السمع ففعلت مثله.. تهادى

إلينا صوت أغاني هادئة.. عجباً.. من أين ولا يوجد أي دليل على وجود حياة في هذه البقعة الجرداء؟ .. ألتفتُ إلى جنودي فاستوثقتُ منهم انهم يسمعون ما اسمع، ولا يرون ما لا أراه ، وإذ بالثعلب الماكر تنفرج أساريره ويقودنا تجاه الصوت.. بعد خطوات قليلة والتقينا بغطاء صخري لا يلفت الانتباه . طلب منا المرشد أن نرفعهُ فرفعناه ، وإذ بسرداب في باطن الأرض تنبعث منه أصوات ترانيم النصارى فأدركت أننا أمام صيد ثمين .

هبطتُ مع بعض جنودي إلى السرداب، وتركت البعض بالخارج لئلا يكون للجحر باب أخر أو اكثر فيهربون منه.. شقيتُ طريقي في سرداب طويل ضيق اِسودَّت أجنابه من أثار المشاعل .. الجو الخانق بسبب سوء التهوية يجعل المكان غير صالح للمعيشة إلاَّ لمثل هؤلاء الثعالب الماكرة .. انتهي السرداب بصالة فسيحة بها ضوء خافت يتناهى إليها من فتحات صغيرة بالسقف ، وإذ بي أمام جماعة متكاملة من رجال وسيدات وفتية وفتيات وأطفال وشيوخ جاثين على ركبهم يرفعون أياديهم

منهمكون في صلواتهم حتى كادوا أن لا ينتبهوا إلينا .. صرخت فيهم فراح المكان يردّد صدى صوتي "أيها الملاعين الأشرار .. لقد جلبتم علينا غضب الآلهة" .. سمعتُ وكأن هناك صوت خافت يقول " فيلي" .. دفعناهم للخارج وسط موجة عارمة من السخط والركل .. كنا يقظين لئلا يهرب أحد منهم ولكن واحداً منهم لم يقاوم أو يحاول الهرب كالعادة إنهم مثل خراف تساق إلي الذبح .

ذهبتُ بهم إلي المعسكر وقلبي يرقص فرحاً .. كانت هناك حملات أخرى ولكنني فزتُ بنصيب الأسد ، وكلما مرَّرتُ على أحد ألقاه يرمقني بنظرات الإعجاب ويحييني باسم روما ، فيزداد افتخاري وإعجابي بنفسي ، ولا سيما انه كان من القطيع بعض كهنتهم وبعض الحسناوات اللاتي غطينّ رؤوسهنّ .. أدخلناهم إلي المعسكر وأنا أقف على بابه أتفحصهم بنظرات قاسية .. مددّتُ يدي أرفع غطاء الرأس من على وجه إحدى الشابات لأملي عيناي منها وإذ بي في مواجهة أختي الوحيدة " كريس " التي اختفت منذ عدّة اشهر مع حبيبتي " لمباس " وقد ضاعت كل

جهود البحث عنهما سدي .. تحجرتُ في مكـــاني بينمـا هـي تتجاهلني تماماً .. ودَّدتُ أن أضمها إلي صدري ولكـــن أعيـن جنودي ترمقني .. حجزتها بجانبي ، وفطنتُ أنني سأتلقى صفعـةِ أخرى ، وفعلاً شككت في فتاة أخرى فرفعت البرقع عن وجهـها فإذ هي حبيبتي لمباس حلـم حيـاتي .. نظـرتْ إلـيَّ بعينيـها الحمامتين ، ووجهها الشاحب لم يقو أن يشجب جمالها البـارع . بل إن السلام يضفي عليها مسحة من الجمال الهادئ الخلاب .. أدركتُ إنني أمام أصعب المعارك وأشرسها .. أنت تعلـم أيـها الرجل إن الفارس الروماني لا يهابَ الموت ولكنني هبتُ جـداً موت كريس ولمباس .. هـل أحضرتـهما للمـوت بيـديّ ؟!، تطاير أمام عيني صورة كريس وهي تحترق وسـط النـيران ، ولمباس تنهشها أفواه الأسود وتمزقها ، وأنا واقف عاجز ومُقيـد لا أستطيع لهما خلاصاً ولا املك لهما فكاكاً .. دارت رأسي وكِدتُ أهوي على الأرض .

تغامز الجنود فيما بينهم ظناً منهم إنني أُعجبتُ بـهاتين الفتـاتين الجميلتين وأريد أن أشبع هواي منهما .. اِبتسم البعض في خبـث

وكأنه يريد أن يقول : أيها القائد أنت لا تعرف المسيحيات بعد .. فان قلبهنَّ مُوصد ضد الشر وشبه الشر فلن تجد لـــه سـبيلاً .. أنهنَّ متعبّدات في محراب الناصري ، والموت افضل لديهنَّ مـنَ ارتكاب الرذيلة .. كان حب جنودي لي أقوى من حبهم للتطفـــل فتركوني وتواروا عني .. هول الصدمــــة أفقدنـــي اتزانـــي .. رحماك ربي !! رحماك إلهي !!

عوضاً عن فرحة اللقاء يتراقص أمامي شبح الموت والفنـــاء .. عوضاً عن أن افديهما بروحي أسلمهما للعذاب .. عوضاً عن أن أنقذهما أقتلهما ؟!!

انحنيتُ بهما جانباً بينما انسل باقي القطيع إلي داخـــل المعســكر يتميّمون بصلواتهم من أجل كريس ولمبـــاس.. جمعــت قـــواي وصرخت من أعماقي بصوت لا يكاد يسمعه أحد غيرهما:

كريس .. لماذا تركت كل شئ وتركتيني وذهبـــتِ مـــع هــؤلاء المعتوهين الملاعين ؟!

كريس : إنني واحدة من هؤلاء المباركين .

نظرتُ إلي لمباس : لمباس .. لماذا تنكرتِ لحبنا وأصغيتِ إلـــي

تلك الفتاة المجنونة كريس ؟
لمباس : فيلي .. بجوار حب المصلوب ليَّ يتلاشى أي حب آخر مضاد .
ألقيتُ عليهما أوامري العسكرية بلهجة حازمة والشرر يتطاير من عيناي : هيَّا .. هيَّا بنا .. اتبعاني في الطريق الخلفي لتهربا من طريق الموت والهلاك .
لمباس : كلا يا سيدي .. لن اترك مسيحي .
تصاغرتُ أمامها وتواضعتُ وأحنيتُ قلبي وهمستُ : لمباس .. تعالي معي يا حبيبتي وعيشي مسيحيتك سراً .. دعينا نتزوج يالمباس كما تواعدنا ونعيش حياتنا الحلوة .
لمباس : كلا يا سيدي .. لن أخفي صليبي ، ولا أقدر أن أترك قطيع المسيح الناطق .
ألتفتُ إلي كريس التي تعوَّدت أن تطيعني دائماً وأبداً ولا ترفض لي طلباً فإذ بها تقول : أخي لا اقدر أن أضحي بإكليلي .. لا اقدر أن أُضيع فرحة زفافي للعريس السمائي .
قلت : لو تدركان ما أنا صانعه معكما .. إنني احمل رأسي على

كفي فمجرد وشاية صغيرة من جندي حقير تســـاوي الإطاحــة برأسي .

كريس : عشتَ إلي الأبد يا أخي .

لمباس : فيلي لن ترَ الموت قبل أن ترى الحياة .

مرَّ أحد القادة المنافسين لي فحيَّاني ورمقني بنظرة حيرة وشـــك وانفرجت شفتاه عن ابتسامة صفراء وكأنه ضبطني متلبساً بخيانة روما ، وعيناه تقولان : أخيراً .. سقطتَ أيها القائد المخــادع .. هل صرتَ واحداً منهم ؟! ، فدفعتُ بالفتاتين بقسوة إلـــي داخــل المعسكر وانصرفتُ والغيظ يقتلني ، ولم أذق النـــوم منــذ هــذه اللحظة .

أما ما حدث في الكولوزيوم وقت المحاكمة في اليوم التالي فقــد ملأ قلبي بالحقد على هؤلاء الملاعيـــن والغيــظ مــن هــؤلاء المعتوهين البلهاء الذين يضحــون بحياتــهم دون أي داعٍ لذلــك .. تجمَّع عظماء المدينة وأغنياؤها على درجــات الكولوزيــوم كلٍ في رتبتِه .. اكتظ المكان بعشرات الآلاف ، وفي ناحية أعلاه جلس القضاة في مكانهم بينما توسط المكان الوالي وزوجته يحيط

بهما الحرس والخدم .. أمام منصة القضاة مرَّ المسيحيون في طابور طويل في محاكمة روتينية باردة ، فالقرارات الإمبراطورية واضحة تمام الوضوح وهي :

المسيحية جريمة = التعذيب والإعدام

وللأسف فأن البلهاء لا يكتفوا بالتمسك بمسيحهم ومسيحيتهم سوا إنما يصرُّون على الاعتراف نهاراً جهاراً.. قلَّما خاف واحد منهم وجَبُنَ وتراجع تحت وعد أو وعيد فيبهج القضاة ويسر الوالي ويفرّح الآلاف وكأنهم أحرزوا نصراً مبيناً على الإله المصلوب. تطايرت الأحكام في الهواء : خلع الأظافر .. الجلد .. السلخ .. العصر بالهمبازين .. الأخذ بالسيف .. الإلقاء في الزيت المغلي .. الطرح للوحوش .. الحرق بالنار .. الصلب .. الخ

ويالدهشتي يا رجل من هؤلاء المسيحيين البلهاء فكأن النياشين توزع عليهم كل إنسان يتلقى الحكم بموته وكأنه الحكم ببراءته وانطلاقه للمجد . يرى في القضاة كمن أسدوا له خيراً ومعروفاً عظيماً فيحيّهم بشكر وحب وتقدير .. لم تبدر من أحد منهم نظرة تذمر أو اشمئزاز .. نظرة حقد أو غضب أو عتاب ، ولا أدري

هل ماتت أحاسيسهم ومشاعرهم الإنسانية ؟!!
كان تنفيذ الأحكام يجري في وقت انعقاد المحاكمة بغية التأثير على نفسية المتهمين .. انتشرت فرق الجلادين في أرض الكولوزيوم .. نُصِبت الهمبازين .. أُشعلت النيران .. براميل الزيت المغلي .. السياف ، استمرت حفلة التعذيب والإعدام الجماعي للعشرات بل للمئات وسط غضب الآلاف وضحكاتهم الهستيرية .. تلونت الأرض باللون الأحمر ، وسُمِعت الآهات وحشرجات الموت، ومع هذا فأصوات الترانيم لم تخمد طالما بقي أحد منهم على قيد الحياة ، إنها شهادة للتاريخ يا رجل إن المسيحيين في منتهى القوة والشجاعة في مواجهة التعذيب .. في منتهى الهدوء والسلام في مواجهة الموت ، وربما هذا الذي يشدّ الكثيرين إليهم.
وبين ألسنة اللهب المتصاعدة رأيتُ .. رأيتُ أختي حبيبتي " كريس" الجميلة بين الفتيات تحترق وتحترق وتحترق ، والنار تنشب في قلبي حريق وفي جوفي لهيب يدفعني إلى أن أطير وأقتحم جوف الآتون وأنقذ كريس حتى لو ضاعت حياتي

واحترقت فداء عنها ، ولكن ما الفائدة وهي تصير على التمسك بمسيحها .. سترتُ وجهي بكفيَّ ، وما أن رفعتهما إلا وقد تلاشت كريس الجميلة وتحولت إلي مسخ يفنى سريعاً .

ثم تحدث الوالي في أذن قائد الكولوزيوم الذي صرخ صرخته المدويّة ، وللوقت انسحب الجلادون سريعاً ، وسحبوا الجثث، وهُيئ المكان لانطلاق الأسود والفهود والنمور الجائعة وهذا أشدَّ ما يشدَّ الجموع .. وقف العشرات من المسيحيين وسط المكان ينتظرون مصيرهم المشئوم ، وإذ بعينيَّ تلتقيان بعيني حبيبتي لمباس وكأنها تناديني : فيلي .. ألا تأتي معي؟! وإذ بأحد الأسود ينطلق نحو حبيبتي فيلقيها أرضاً وينهشها بأنيابه .. الدماء تسيل والأسد لا يرحم بل يأكل ويتلذَّذ.. ياللهول !! ياللهول يارجل!! .. إنني كنت أتلذَّذ لمثل هذه المناظر مع الآخرين ولكن كيف يحدث هذا مع كريس ولمباس ؟! كيف ؟! كيف يارجل ؟!

حدث هذا غروب أول أمس ، والمنظر بكل قوته ماثل أمامي .. أمضيتُ ليلتي في ذهول وقبل أن يظهر أول ضوء للصباح كنتُ أشقُ طريقي وأسير على غير هدى .. صمت فليمون ولأول مرة

ينطق الرجل : " كل ما يُعمَل يُعمَل للخير للذين يحبون الله " .

صاح فليمون : ماذا ؟! أتقول إنه خير ؟!! وأي خير تراه فيما حدث يا رجل ؟!!!

الرجل : نعم أيها القائد الشجاع فليمون .

فليمون : كلمني بالعقل والمنطق .. ثم قل لي ما هو اسمك ؟

الرجل : الأب ميناس .. أسمع يافليمون .. هل احترقت كريس بالنيران ؟ وهل صارت الأسود قبراً للمباس ؟ .. ليس هذا نهاية المطاف يا فليمون .

فليمون : وماذا بعد الموت أيها الأب ميناس ؟

الأب : بعد الموت قيامة .. بعد القيامة حياة أبدية .. ستقوم كريس وتنهض لمباس في أجمل وأحلى صورة لهما .. ستُتوجان بأكاليل الشهادة في مجد عظيم .. ما خسرتاه من بضعة سنين على الأرض لا يقارن أبداً بربحهما السماء .. هل تحملتا الآلام ساعة ؟ ستعيشان في المجد كل ساعة وإلي أبد الآبدين .

تحدث الأب ميناس وأفاض في الحديث عن محبة الشهداء والكرامة التي تنتظرهم والمجد المُعد لهم ..

الفصل الثاني : الأسد الغلبان

ومازال القائد فليمون يتحدث بحدة وعنـــف مـــع الأب مينـــاس الطبيب الحكيم الذي أخذ يداوي جراح النفس المكلومة .. أمتـــد الحديث طويلا ولم يقطعه إلا قدوم أحد الأشخاص يرتدي جلبابـــا ويطلق لحيته وكأنه صورة مــــن الأب مينـــاس .. رشـــم هـــذا الشخص ذاته بعلامة الصليب وسجد أمام الأب ميناس الذي بادله المطانية .. انصرف الرجل إلي داخل الدار وفليمون يقف متعجبا من شخصين يلتقيان ولا يتكلمان فيســـأل الأب مينـــاس : أيـــن زوجتك وأولادك أيها الأب ؟

الأب : أنا رجل متبتل ليس لي زوجة ولا أولاد .

فليمون : هل تعيش هنا بمفردك أنت والرجل الذي جاء الآن ؟

الأب : أنا أعيش مع مجموعة من الاخوة .

فليمون : وأين هم ؟

الأب : انهم منتشرون .. كل في مكانه في الصحراء ، واليـــوم السبت ميعاد اللقاء لنمضي الليل في الصـــلاة معـــا ، ونشـــترك جميعا في القداس الإلهي ، ونتناول الأغابي معا ، وننصرف كـل

واحد إلي مغارته ويتبقى واحد هنا أو أكـــثر للاهتمـــام بشـــئون المكان .

فليمون : وما هذا المكان ؟ هل هو كنيسة ؟

الأب : نعم هذه كنيسة بسيطة يا ابني .

بدأ الاخوة يتوافدون مثل الحمام العائد إلي أبراجـــــه يضربـــون مطانية اللقاء ويقبلّون بعضهم البعض .. إنه مجتمع فريـــد بـــلا منازعات ولا خصام ولا جدال إنما المحبة هي الملِكة المتوَّجـــة في كل القلوب فتُكسِب هذا المكان طعماً لذيذاً ورائحـــةً حلـــوة وراحة نفسية لا حدود لها .

إنحنى فليمون يتناول طعامه تحت إلحاح الأب مينــــاس ، فمنــذ ثلاث أيام لم يتذوق شيئاً .. حضر كــل الاخــوة باســتثناء الأخ فلتاؤوس البسيط فظنوا أنه لابد أن يكون مريضاً وغير قادر على الحضور.. البعض يراقب والبعض يستعد للذهاب إليه وإذ بـالأخ فلتاؤوس يظهر قادماً بمفاجأة عجيبة كعادته إذ يمسك بأذن أســـد ضخم ، والأسد يسير خلفه في وداعة وكأنه حمل وديع .. تجمـع الاخوة ، وأخذت الحمية الرومانية القائد فليمون الذي قفز أمـــام

عينيه منظر حبيبته لمباس بين أنياب الأسود فاستل سيفه وقفـــز للقاء الأسد وإنقاذ الاخوة .. همَّ فليمون بتوجيه طعنة قاتلة إلـــي قلب الأسد وإذ بالأخ فلتاؤوس بجسمه الضخم يحتضنه ويمنعـــه من الأسد الواقف في هدوء والمُطرِق برأسه نحو الأرض .. قال الأخ فلتاؤوس البسيط : لا تخافوا .. هذا الأســـد ضخـــم لكنـــه ضرير غلبان ، وأنا قادم من مغارتي سمعت صوته وهو ســـاقط في حفرة ضيقة عميقة لا يقدر على الخروج منها وكأنه ينـــاديني باسمي ، فرشمت ذاتي بعلامة الصليب ونزلت للحفرة وقلت له : سلام يا مبارك .. طأطأ رأسه يرد التحية وتمسَّح فيَّ يرجوني أن أخرجه من ورطته .. تأملته فوجدته أعمى لا يبصـــر شـــيئاً .. حاولت إخراجه من الحفرة ولكنني عجزت عـــن حملـــه لثقـــل وزنه .. مرَّ الوقت طويلاً ونحن نعافر للخروج دون جـــدوى .. صعدت بصعوبة بعد أن وضعت أقدامي عليه وأحضرتُ عـــدة أحجار ووضعتها بحرص في الحفرة ، وبواسطتها أخرجته مـــن الحفرة فوقف بجواري لا يريد أن ينصرف وكأنه يقول لي : ما عملته يا أخ فلتاؤوس لا يكفي.. أنت أخرجتني الآن من الحفـــرة

وبعد قليل أسقط في حفرة أخرى وألقي حتفي .. لذلك أتيت به إليكم يا آبائي واخوتي .

فليمون : يا قوم ألاّ تدركون أن هذا الأسد قادر على إهلاككم جميعاً ؟!

الأخ فلتاؤوس : لا .. لقد اشترطت عليه من الآن فصاعداً أن لا يفترس ولا يؤذي إنساناً قط فوعدني بهذا .. يا أخوتي هل يشفق أحد على هذا الأسد الغلبان ويصلي له لكيما ينعم عليه الرب بنعمة البصر ؟

أخذ الأخ فلتاؤوس يجول بنظره بين الواقفين ، ولم يتقدم أحد منهم ليس خوفاً من الأسد ولكن أتضاعاً ومسكنة وشعور حقيقي بعدم الاستحقاق .. ألحَّ الأخ فلتاؤوس على الأب ميناس الذي وضع الصليب على رأس الأسد وقال نصلي معاً " جي بنيوت .. مارين شيبهموت .. سبحي يا نفسي الرب .. الرب يُفتِح أعين العميان .. صلاة خاصة" ثم بدأ يصلي " كيرياليسون كيرياليسون .. " والواقفون يشاركونه ، والأسد يرفع صوته تدريجياً حتى أصدر صرخة مدوية هزت المكان .. إنها صرخة

الفرح والنجاة من الظلمة .. لقد انفتحت عيناه حقيقة وعادت إليه نعمة الإبصار طأطئ رأسه للاخوة ، وتمسّح في الأب ميناس الذي ربّت عليه، ولحسَ ثياب الأخ فلتاؤوس الذي ضربه ضربة خفيفة على مؤخرته وأطلقه فأنطلق وأقدامه تسابق الريح .

أهتز كل كيان فليمون من قوة الصليب والصلاة التي فتّحت عينيّ الأسد الضرير ، وقال في نفسه : إذاً كل ما قاله الأب ميناس عن القيامة والحياة الأبدية حقيقة وليس خيال خصب ولا مجرد مواساة وتعزية وسلوان لي .. إنحنى إلى الأب ميناس يريد أن يطرح عليه ألف سؤال وسؤال ، وإذ بالأب ميناس الحكيم يدُرِك ما بداخله ويهمس إليه : هل نرجئ الحديث الآن؟ أمامنا ترتيبات هذه الليلة وغداً نجلس معاً ..

فليمون : هل يمكنني أن أشاركك هذه الترتيبات ؟

الأب : بكل سرور إن كان هذا يروق لك .

أحضر الأب ميناس جلباباً للقائد فليمون فحوله الجلباب من منظر قائد روماني عظيم إلي سائح في البرية ، وشارك الأب ميناس في إعداد احتياجات الأخوة اللازمة لهم .. تلامس فليمون مع

العزاء الحقيقي وبدأ يتذوق الراحة النفسية التي فقدها طويـــلاً .. أمضى الليل كله مع الاخوة الذين يسبحون الله باللغة القبطية التي لا يجيدها إذ هو يعتز ويكتفي بلغته اليونانية ، ومـــع ذلـــك فقـــد استهوته جداً الألحان والتسابيح وأحس كأن هناك قوة خفية تُضمِد جراحاته وتوقف نزيف حياتـــه ، وشـــعر كـــأن أرواح كريـــس ولمباس ترفرفان في المكان تباركان خطواته ، واختتمت الســهرة بالقداس الإلهي ، ثم غادر الإخوة الكنيسة مـــع شـــروق ضـــوء الصباح .

وانطلق الإخوة مثل الحمام المنطلق من أبراجه كلٍ إلي وحدتـــه ، وكان الأسبوع القادم من نصيب الأخ زخارياس ليقيم في المبنى، ولكن الأب ميناس أستأذنه ليبقى مع فليمـــون ، فوجـــد فليمـــون فرصته ليجلس مع الأب ميناس يداوي جراح نفسه ، ويتباســـط معه في الأسئلة التي طالما شغلته من قبل :

فليمون : كيف تتبعون إنساناً مخطئاً أســـلمه اليـــهود وكهنتـــهم ورؤساؤهم إلي بيلاطس البنطي الـــذي حكـــم عليـــه بالإدانـــة والصلب؟

الأب : السيد المسيح له المجد بلا خطية .. قبـل ولادته مـن العذراء مريم بشرها رئيس الملائكة جبرائيل قائلاً : " القـدوس المولود منك .." .. لم يذكر الإنجيل ولم يسجل التاريخ ولم يقـل أي مصدر آخر تحدث عنه إنه أخطأ ولو مرة واحدة ، وهو قـال للجموع : " من منكم يبكتني على خطية " وشهد ببراءته الجميـع حتى يهوذا الإسخريوطي الذي أسلمهُ ، وبيلاطس البنطي الـذي حاكمهُ ، وزوجة بيلاطس ، وقائد المئـة الـذي أشـرفَ علـى الصلب ، وندم كثير من الكهنة وآلاف مـن اليـهود علـى مـا ارتكبوه من خطأ شنيع، وآمنوا بالمصلوب يوم الخمسين عندمـا نخس روح الله القدوس قلوبهم .. إنه الله الذي اتخذ جسداً وتـأنس من أجل خلاصنا فكيف يكون خاطئاً ؟!

يا فليمون لو كان يسوع المسيح خاطئاً ما استطاع أن يفدي أحـداً لأن السجين لا يقدر أن يفدي سجيناً ، والمحكوم عليه بـالموت لا يستطيع أن يفدي المحكوم عليهم بالموت .. هو بلا خطية ولكنـه حمل خطايانا .. هو البار القدوس الذي يدعونا إلي حيـاة الـبر والقداسة والطهارة .

فليمون: لو كان المصلوب إلهاً فكيف يموت مصلوباً عرياناً ولا يملك أي قوة للدفاع عن نفسه ؟! ألم يكن جنودنا الرومان أقوى منه عندما طرحوه أرضاً ودقوا المسامير في جسده ثم رفعوه على الصليب مُشهّرِين به،أمام الجميع ؟!

الأب: لم يكن السيد المسيح له المجد إلهاً من ضمن الآلهة بل هو الإله الحقيقي وحده الذي تعرى لكيما يستر عرينا نحن الخطاة ومات لكيما يحيينا . لم يكن السيد المسيح له المجد على الصليب ضعيفاً قط .. كان قوياً جباراً مثل أسد رابض في عرينه .. دليل قوته إنه سلَّمَ نفسه للموت بإرادته .. كان يعلم ما سيحدث له بالتفصيل وأخبر تلاميذه بهذا .. في البستان عند القبض عليه سأل الجنود من تريدون؟ قالوا يسوع الناصري .. قال لهم: أنا هو فسقطوا على وجوههم وكانت الفرصة سانحة له بالهرب فلم يهرب .. بل أشترط عليهم أن يطلقوا تلاميذه فارتضوا هذا...على الصليب كان قوياً جباراً .. الشمس لم تحتمل أن ترى خالقها عُرياناً فحجبت أشعتها عن وجه الأرض ثلاث ساعات كاملة منذ أن رفع على الصليب وحتى أسلم الروح .. الأرض لم

تحتمل الصليب المُعلَّق عليه خالق الكل مهاناً فأرادت أن تــهرب إلي لا شئ لو لا إنها ممسوكة بكلمة منــه ... وعلــى الصليــب دارت أعظم معركة في تاريخ الكون كله ولــو إنــها لــم تكــن منظورة .. تجرأ الشيطان وهجم على المصلوب ليقبــض علــى روحه ويودعها في سجنه كما كان يفعل بكل إنسان مات من قبل ولكنه فوجئ إنه أمام الله ذاته الذي خلقه .. فكيف يتعدى علـــى العزة الإلهية ؟! أراد أن يهرب ولكن السيد المسيح قبض عليــه وجرده من سلطانه واقتحم سجنه (الجحيم) وأخرج كل الذين ماتوا على الرجاء ونقلهم إلي الفردوس، وأيضاً اللص الذي صلب معه وأعترف به أخذه إلي الفردوس في ذات اليوم .

فليمون: مادام قوياً فلماذا سلَّم نفسه لموت اللعنة والعار؟

الأب: جبل الرب الإله الإنسان الأول في الفردوس بعد أن أعــدَّ له كل شئ وأعطاهُ وصية واحدة ليُعبّر عن طاعته وحبه لجابله.. سقط الإنسان بغواية الحية فدخلت الخطية إلى أعماقه ، وفســدت طبيعته مثل شجرة أصابها العضب والفساد وهكذا كــل نســله.. قايين يقتل هابيل.. الشر يملأ العالم.. الطوفان.. حـــرق سـدوم

وعمورة ، وتحيرت البشرية من يخلص آدم ونسله من المــوت؟! ومن ينقذه من الهلاك الأبدي؟! ومن يرده إلى فردوس كان فيه؟! من يحمل خطايا كل البشرية ؟! لأجل هذا جاء ليرفع عنا حكــم الموت...

قاطع فليمون الأب قائلاً : عندما أُخطئ في حقك وأقدم اعتــذاري ألاَّ تصفح عني وينتهي الأمر ؟!

الأب : نعم يا فليمون أصفح عنك حتى وان لم تقــدم اعتــذارك فإنني اصفح عنك، ولكن الموضوع لم يكن مجرد مغفرة وصفــح بل كان أكبر من هذا... الطبيعة البشرية التي فسدت بالخطية من يصلحها إلاَّ جابلها ؟!.. الشيطان الذي تملَّك على الإنسان بالحيلة والدهاء، وتمسك بالإنسان عبداً له أكثر من تمسك الهالك جوعــاً برغيف الخبز.. من يخلص الإنسان منه؟! وعندما يحطم الإنسان وصية الله ويعود الله يغفر له فعلى أي أساس تتم المغفرة ؟ وأيــن عدل الله عندئذ؟! لذلك تجسد الله ورُفع على الصليب عوضاً عني وعنك يا فليمون... هل تعرف من الذي كان ينبغــي أن يُرفَــع على الصليب ؟

وأسرع فليمون يجيب بتلقائية : أنا الجاني الذي أسلمتُ كريس ولمباس إلى الموت .

الأب : لست أنت وحدك بل كلنا أخطأنا وأثمنا والرب وضع عليه إثم جميعنا.. أسلم ذاته عنا واشترانا بدمه الثمين... سُمِر على الصليب ليفك رباطات خطايانا وهوذا يفتح أحضانه منتظراً عودتنا إليه قبل غروب شمس حياتنا.

فليمون : لكن قل لي أيها الأب لماذا لم يرسل الله نبياً عظيماً ليموت نيابة عن البشر ؟

الأب : لأن أي نبي هو إنسان ولا يوجد إنسان بلا خطية.. الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله.. ولو وُجِد الإنسان البار الذي بلا خطية فانه لا يستطيع أن يفدى إلاَّ إنساناً واحداً فقط لأنه محدود.

فليمون : ولماذا لم يرسل ملاكاً عظيماً ليموت نيابة عن الإنسان؟

الأب : الذي يموت عن الإنسان لابد أن يكون إنساناً .

فليمون : ممكن الملاك يتجسد ويأخذ جسد إنسان ويصير إنساناً .

الأب : والملاك أيضاً حتى لو تجسد رغم قوته العظيمة جداً فهو

محدود لا يستطيع أن يفدى جميع البشر في كل زمان ومكان .

فليمون : جيد أن يحب الله الإنسان ويفكر في الموت عنه ، ولكن قل لي عندما مات المسيح ودفن في القبر ثلاثة أيام مَنْ كان يدير شئون العالم والكون كله ؟

الأب : السيد المسيح له المجد ليس إنساناً فقط لكنه إنسان وإله... هو الإله الكامل وحده الذي لا يموت، وهو الإنسان الذي يمكن أن يموت .

فليمون : لا أدرك ما تقول .

الأب : السيد المسيح له المجد هو الإله الحقيقي المنزّه عن الموت، وهو الإنسان الكامل الذي له جسد إنساني وروح بشرية.. على الصليب فارقت الروح البشرية الجسد البشرى ولكن اللاهوت لم يفارق إحداهما لذلك هبطت الروح البشرية المتحدة باللاهوت إلى سجن الجحيم وأخرج الذين ماتوا على الرجاء ، ودخل الجسد البشرى المتحد باللاهوت إلى الموت والقبر ثلاثة أيام ولم يعاين فساداً ، وفي اليوم الثالث وحَّد اللاهوت بين الجسد الإنساني والروح الإنسانية وقام المسيح

وأنتصر على الموت والخطية والشيطان ووهـــب لنـــا الحيـــاة الأبدية... ثم أمسك الأب بقطعة من الورق ووضعها في زيـــت وأخرجها وقال أنظر يا فليمون هذه الورقة التي تشربت بالزيت، فنظر إليها فليمون فإذا بالأب ميناس يشقها نصفين ويسأله : هـل فارق الزيت أحد القطعتين؟

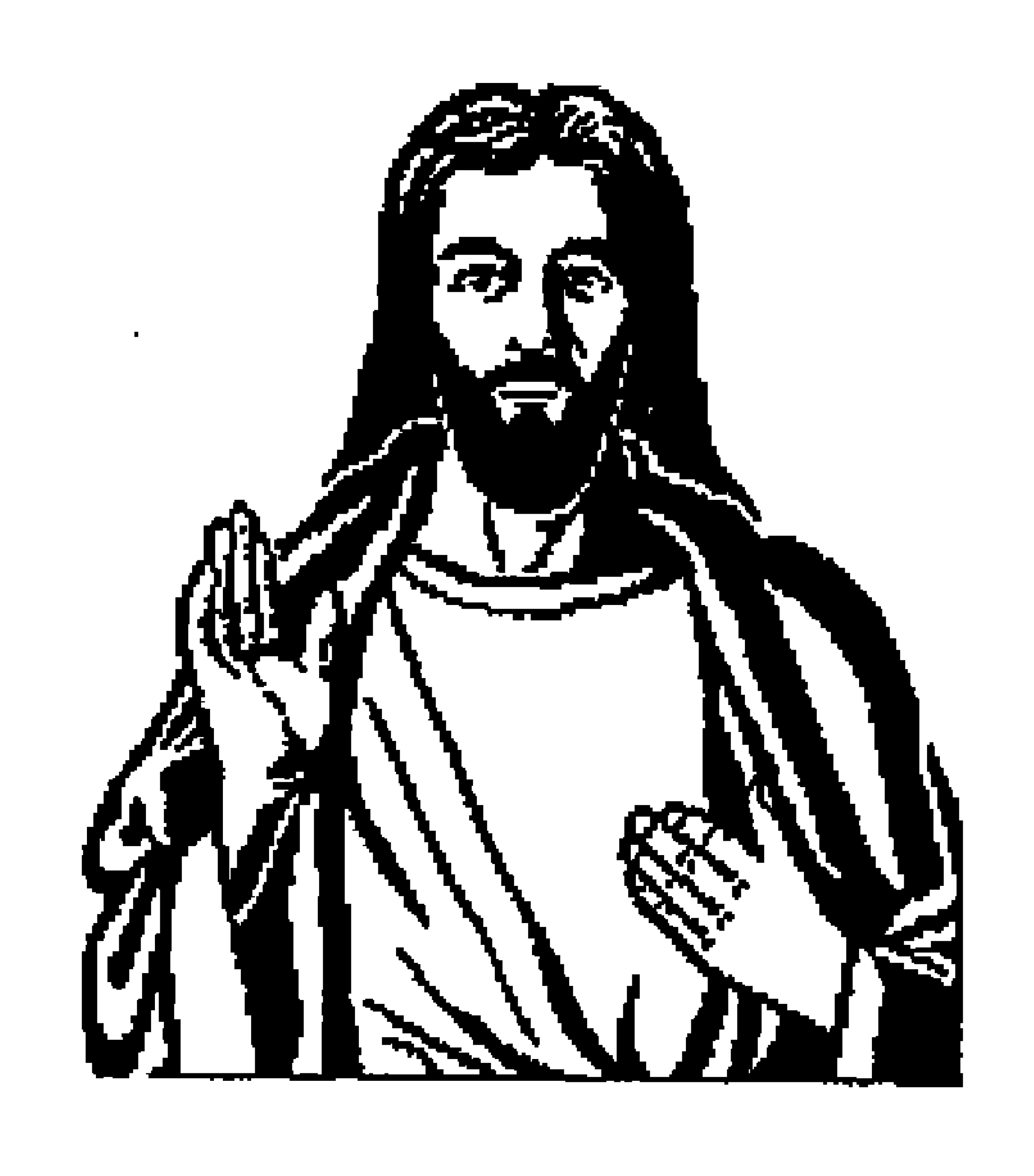
فليمون : كلاًّ

الأب : الزيت يشير للاهوت والورقة الكاملة تشير للناســـوت ، وعندما انشقت الورقة نصفين فهذا إشارة إلى انفصـــال النفـس البشرية عن الجسد البشرى ، ومع هذا فان الزيـــت لـــم يفـــارق إحداهما ، وهكذا اللاهوت بالموت لم يفارق لا الروح البشـــرية ولا الجسد البشرى .

وهكذا أمضى فليمون مع الأب ميناس الساعات والأيـــام يتعلَّم ويسأل ويتَّدرب على الحياة الجديدة حتى اِستحق أن ينال الصبغـة المقدسة، وزفَّهُ الأباء في الكنيسة بجلبابه الأبيض علامة الحيـــاة الجديدة الطاهرة النقية والزنار الأحمر يمرُّ من تحت إبطه إلـــى كتفه إشارة إلى الفداء بالدم ، وصار فليمون الوثني إنساناً مسيحياً

يعيش في بيئة طاهرة نقية ويغبط نفسه على افتقاد النعمة له.. لقد أدركته المحبة الإلهية وهو على قدر مـــا يســتطيع أدرك هــذه المحبة الأبدية الفياضـة.. عاش في حياة الطاعة لمعلمه ميناس... كفً عن الحروب الجسدية لكيما يشتبك في حرب ضروس مـــع عدو الخير الذي يبذل قصارى جهده لكيما يرده إليه ثانية .

وهكذا مرت الأيام والسنون وتقدم فليمون في الحيــاة الروحيــة وأصبح له مغارة في جوف الصحراء وعاش حياة العابد الناســك المتوحد الذي مات عن الكل وارتبط بالواحد متوغلاً في الأعماق الروحية ، فاستحق أن ينال نعمة الكهنوت ويكون أباً مثـــل الأب ميناس.



الفصل الثالث : التنين ذو السبعة قرون

في قرية " البركة " الهادئة ببلاد الشام انتشرت الربوع الخضراء وعمَّ الخير والسلام ، وفي أحد شوارعها الضيقة تجمع بعض العمال يعملون بجد ونشاط في بناء أحد البيوت حيث يقوم بالبناء رجل يناهز الخمسين من عمره ، ولكنك تلمح فيه قوة ونشاط وسرعة الشباب... لقد شدَّ وسطه بحبل حتى لا يعوقه جلبابه عن سرعة الحركة ، وأخذ يبنى والجدران ترتفع وكأنه مهندساً يصنع تصميماته أو فناناً يرسم لوحاته.. وجهه المضيء يعكس وافر النعمة التي تسكن قلبه والسلام الذي يملأ حياته .

ومع أنه إنسان غريب عن القرية لكنه محبوب جداً لهدوئه وأتضاعه وحكمته... ليس له قريب ولا رفيق ومع ذلك فإنهم ينظرون إليه كواحد منهم بل يعتبرونه أفضلهم ، في أي عمل يبدأه يرفض تماماً الاتفاق على الأجر، وفي نهاية العمل يأخذ ما يقدمونه إليه ما دام في حدود المعقول أو أقل ، ويحسب الذين يمنعون عنه أجره كمن يوفونه أجراً كاملاً ملتمساً لهم

الأعذار ... أما إذا قدم له أحدهم أكثر مما يستحق فإنه يرفضْ بشدة ويعيد له الزيادة إن لم يعد له كل الأجر ... يقضي يومه في العمل بجد ونشاط ، وكلما تقاضى أجره لا يصرف منه إلا القليل ... فإلى أين بالجزء الباقي ؟ ... هل يدخره بحجة إن القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود ؟ .. كلا . إنما يمرُّ ليلاً على بيوت الفقراء والمعدمين يترك أمام كل باب مبلغا من المال ثم يطرقه وينصرف سريعا ، ومن يفتح الباب يجد المال ولا يبصر أحدا فيشكر الله الذي يشبع كل حي من رضاه .

أما فاعل الخير فيعود إلى حجرته التي وهبها له أحد رجال القرية الكرماء حيث يقضي معظم وقته في قراءة الأسفار المقدسة قبل أن يقبل الليل ، ثم يقوم للصلاة والتسبيح أثناء الليل ولا ينام إلا وقتا قليلا ويستيقظ مبكرا للعمل .

وهذا الرجل الذي يدعونه " فيميون " كان يرفض تماما أن يقوم بأي عمل في يوم الرب مهما ضاعفوا له الأجر أو ألحوا عليه لأنه كان يذهب إلى البيعة لحضور القداس الإلهي والتناول من جسد

الرب ودمه لكيما يثبت في الله والله يثبت فيه ، ولكيمــا يقيمــه الرب في اليوم الأخير قيامة الأبرار ، ثم يخرج عقب الصلاة إلى أطراف الصحراء حيث يقضي بقية يومه في خلوة حلوة مع خالقه .

وكان يلازمه في العمل شاب يدعى " صالح " يشعر بملء البركة والنعمة التي يعيش فيها فيميون فيحاول الاقتراب إليه أكثر فأكثر لكيما يستشف أسرار حياته التي أُغلقت عليه ، فصار يراقبه بدقة حتى أكتشف بعض أوجه حياته مثل أعمال الخير التي يقوم بها في الخفاء ، وتلمَّس عمق علاقة فيميون بالسماء والسمائيين ، وكان يتبعه كل يوم أحد إلى أطراف الصحراء يجلس بين عدَّة شجيرات صغيرة يرى منها فيميون الذي لا يراه.. يجثو فيميون على الأرض ويرفع يديه وعينيه نحو السماء ، وصالح يقبع في مكانه مسروراً وكأن صلوات فيميون تظلّله وتمنحه الراحة والسلام .

وفي أحد أيام الأحد وصالح قابع في مكانه بين الشجيرات يرى ولا يُرى ، وفيميون كعادته جاثياً على ركبتيه يصلي وإذ

بتنين ضخم جداً على رأسه سبعة قرون يشق طريقة نحو فيميون فاتحاً فاه مكشراً عن أنيابه حتى بدت نواجزه الحـــادة المكتظـــة بالسم القاتل ..أنه يهمّ بالهجوم على فيميون ليبتلعه أو على الأقـل ليقتله... لم يتمالك صالح نفسه بل أخذ يصرخ بلاوعي بـــأعلى صوته " فيميون... التنين ... التنين أمامك يــا فيميــون " فتــح فيميون عينه فإذا بالتنين الضخم أمامه وإذ هو في مواجهة الموت ولكن العناية الإلهية أدركته فظل متماسكاً فـــي مكانـــه يصلـــى بحرارة لينجيه الرب ، بينما صالح يركض ويهرول هنا وهنـــاك مثل المجنون... حب فيميون يدفعه إليه ورهبة المـــوت تطـــرده بعيداً عنه ، فيأتي من هنا ويعود ثم يأتي من هناك ويرجع وقـــد فقد كل عقل واتزان ... .

يريد أن يمنع المصيبة ولا يقدر... مضت لحظات كأنها الدهـــر فيميون يصلى والتنين كأنه مُقيد ، فرغم حركاته العنيفـــة حـــول فيميون لكنه لا يجرؤ على مهاجمته ، نهض فيميـــون .. رشـــم علامة الصليب على التنين صارخاً بصوت عظيم " يارب القوات أنت الذي أعطيتنا السلطان أن ندوس الحيات والعقـــارب وكـــل

قوات العدو" وإذ بالتنين يثبت وحركته تهدأ وفمه يُغلـــق وأنيــاب الموت البشعة تختفي وعيناه اللتان تقدحان شراً مات فيهما بريـق الحياة وإذ به يتهاوى ويهوى ساقطا في مكانه .. أقترب صـــالح من فيميون يصرخ :

هل ماتت الحية العظيمة يا فيميون ؟! نعم ماتت ... كيف قويـت عليها وأنت أعزل بلا سيف ولا رمح ؟!

فيميون : أنا لم أفعل شيئا.. إلهي يسوع الصـــالح هـو الـذي خلصني من هذا الوحش الرديء ، ولكن ما الذي أتى بك إلى هنا يا صالح ؟

صالح : سيدي فيميون ... إنني أحبك ولم أحب أحدا أكثر منك.. منذ أيام طويلة وأنـــا أراقبــك وأتــابع خطواتــك... ســكناتك وحركاتك... اكتشفت الكثير والكثير... أتذكر يا سيدي يــوم أن قصدت منزل " غرباوى " والنيران تشب فيه وقــد بــاءت كــل الجهود بالفشل فوقفت ورشمت الصليب علـــى النــيران قــائلا بصوت خافت التقطته أذناي " صوت الرب يقطع لهيب النـــار " ثلاث مرات وكأن هناك هوة فتحت فاها لتبتلع النيران من أسـفل

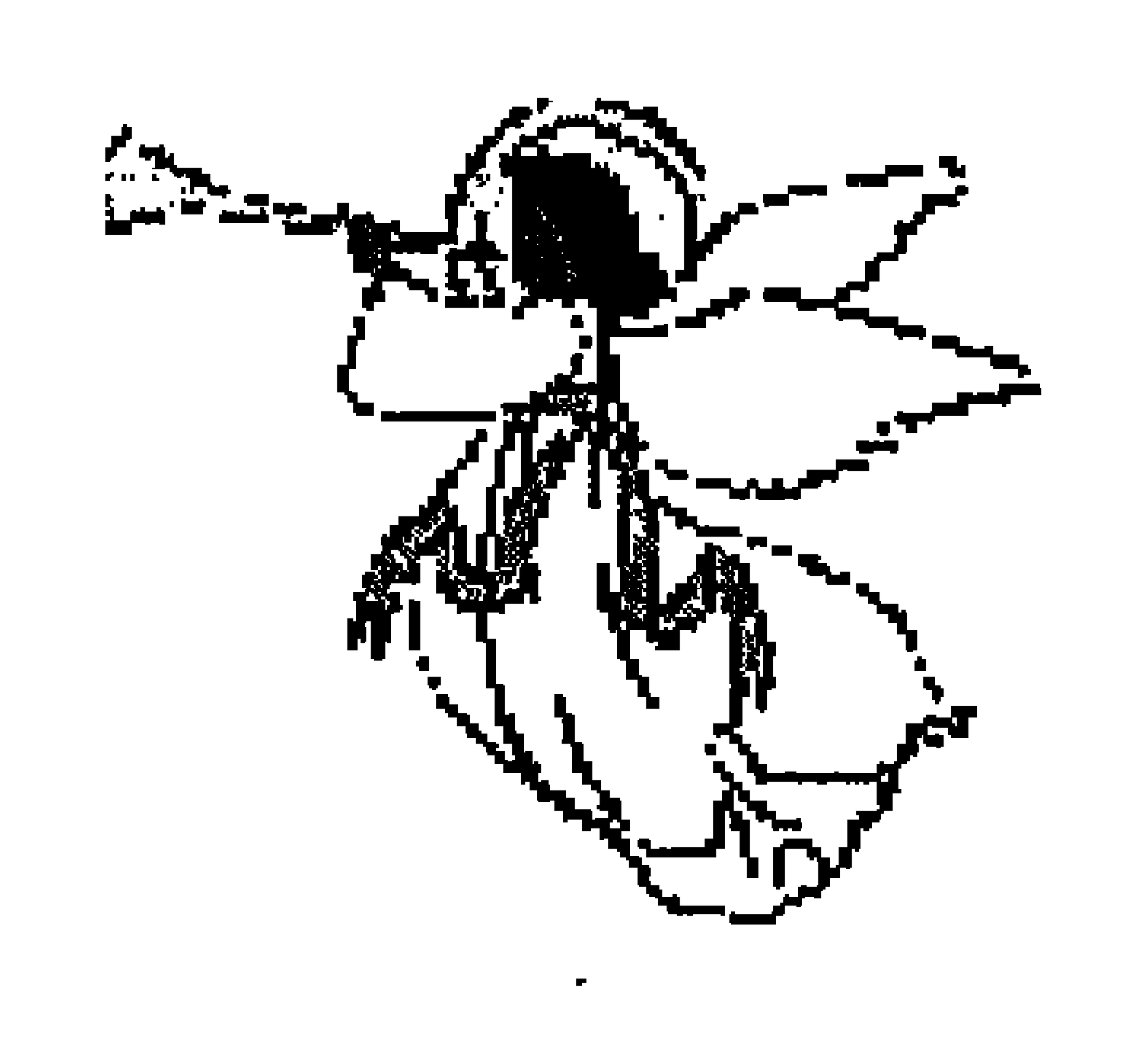
فتهاوت ألسنة اللهب واختفت ... أتذكر يوم إن كنا نعمل في بيت " بحراوى " وسقطت الصبية الصغيرة في البئر العميق وأنزعج الجميع متأكدين من أنها لقت حتفها ، وأنت ثابت في مكانك تقول ببساطة شديدة " سليمة إن شاء الله " وخرجت الصبية سليمة تماماً لا أثر لكسر أو جرح أو حتى خدش وهم يتعجبون ولا يدركون أما أنا ففهمت وأدركت وحفظت الأمر في قلبي .. أتذكر يوم إن كنا في بيت " المشرقى " وكانت زوجته طريحة الفراش تعاني من حمى شديدة فأصبحت على أعتاب الموت وبناتها يبكينها ويندبنها ، ومرَّرنا عليها فإذ بك ترمقها بنظرة عطف وحنان وتمتمت قائلاً " يا ربي يسوع المسيح يا من أقمت حماة سمعان تحنَّن على هذه المرأة المسكينة " وما أن بدأنا عملنا في بناء الجدار العلوي إلاَّ ونهضت السيدة معافاة وأخذت تخدمنا ، وانقلبت أحزان أهل الدار إلى أفراح لكل الشارع .. أتذكر .. أتذكر... أتذكر .. ولهذا كله أرجوك يا سيدي أن تسمح لي ولا ترد طلبتي أن اتبعك بقية أيام حياتي... حقاً إنني ولدتُ في المسيحية ولكنني فيك رأيت صورة سيدي المسيح الحي المحب

القوي.. أريد أن أصير لك تلميذاً فلا ترفضني من أجـــل أســم إلهك .
فيميون : يا صالح ... إنني أعيش حياة قاســية ... لا أكــل إلاَّ القليل والزم نفسي بصلوات ومطانيات وأصـــوام... لا أبغـض أحداً وأفرح بالإساءة... لا أعيش فيما لنفسي بل فيما للمسيح... هل تستطيع أن تعيش معي هذه الحياة القاسية ؟
صالح : بصلواتك يا أبي أرجو أن يهبني الله المعونة .
صمت فيميون علامة الرضى والقبول...
ومرت الأيام وفيميون كأب حاذق في النسك والعبادة علَّم تلميــذه صالح ليس بالكلام ولا باللسان بل من خلال القــدوة والمثـــال ، فصار صالح يجتهد ويجـــاهد مقتديـــاً بمعلمـــه فـــي الأصـــوام والصلوات والعفة والهدوء ، وكان صالح يقضي معظـــم يومـــه وليله مع معلمه حتى قال أهل القرية " لا تجد فيميون إلاَّ بصحبة صاحبه صالح "
وكما أنه لا يمكن أن يُخفي ضوء المصبـــاح الموضـــوع علـــى المنارة ولا يمكن منع رائحة الطيب المسكوب غالي الثمن مـــن

الانتشار هكذا ذاع خبر " فيميون رجل الله وصالح تلميذه ".. بدأ أهل القرية يوقرونهما ويجلانهما ويمدحانهما فلم يعــد فيميــون يجد راحته في قرية البركة ، فقال لتلميذه : يا صالح إنني راحـل من هذا المكان "

لم يسأله صالح إلى أين ؟ ولماذا ؟ بل قال في طاعة التلميذ : يــا معلمي أتبعك حيثما تذهب .

فذهب الاثنان .



الفصل الرابع : المغارة الحية

ترك فيميون وتلميذه قرية " البركة " وذهبا إلي قرية بعيدة تدعى بقرية " الرحمة " ، وهي أشبه بقرية البركة بربوعها الخضراء، وانتشار الخير والسلام ، وبساطة أهلها ومحبتهم الفياضة للغرباء بدأ الرجلان يعملان في البناء ، واستأجرا بيتاً صغيراً في أطراف القرية فأصبح لكل منهما حجرته التي يتعبد فيها ففاضت رائحة القداسة والحياة الملائكية فأحبهما أهل القرية واعتبروهما أنهما بركة ورحمة لقرية الرحمة .. تآنسوا بهما وكثيراً ما كانوا يستشيرون فيميون في أمور حياتهم .

وكان في هذه القرية صبي لطيف ضرير يدعى "حَمَدْ" لا يقدر أن يزاول حياته مثل أقرانه المبصرين ، فلا يستطيع أن يجري ويلعب أو يسير دون أن يصطدم بشجرة أو جدار ويتعثر في حفرة أو صخرة حتى تشوه وجهه الجميل من كثرة الإصابات، ومع هذا فهو كتلة من النشاط يتمتع بروح حلوة وبساطة وخفة

دم ، وإن كان فقد نعمة البصر لكنه لم يفقد نعمة البصيرة.

وذات يوم همس والد حَمَدْ في أذن صالح : ألاَّ يـــأتي معلمــك فيميون ليصلي لابني الضرير لكيما يتمجد اسم الله فيه ويُشفى ؟

صالح : يا سيدي لا أظن أن معلمي فيميون يأتي إليك .

الوالد : لماذا يا صالح ؟!... أنا مستعد أن أدفع له كل ما يطلــب وأعطيه ما يريد .. فإن حبي لابني حَمَدْ يفوق كل حبى للدنيــا ومقتنياتها الزائلة.

صالح : ليس الأمر هكذا يا سيدي ، ولكن اتضاع معلمي يمنعـــه من هذا .

الرجل القروي لم يفهم قصد صالح ولم يدرك فلســفة فيميــون ، ولكنه عاد إلي بيته ولم يذق طعم النوم في ليلته بل ظـــل يقـدح زناد ذهنه كيف يُحضِر فيميون إلي منزله ؟؟

ومع ضوء الصباح كان قد اِهتدى إلى حيلة بارعة فنهض لوقتــه وأيقظ اِبنه حَمَدْ الضرير وقاده إلي السطح وخبأه بملآة وأوصـــاه أن لا يفارق مكانه حتى يعود إليه ، ووعده بهدية ثمينة ، اِنطلــق الرجل إلي فيميون في الصباح الباكر : فيميون .. إنني أريــد أن

أبني حجرة فوق سطح منزلي .. هل تأتي معي لنرى احتياجات البناء ؟

فيميون : تحت أمرك يا سيدي المحبوب .

وسار الاثنان إلى المنزل والرجل يصلي في قلبه أن ينجح الرب طريقه، وعلى سطح المنزل أخذ والد حَمَدْ يشرح لفيميون كيف يكون البناء والمساحة والمنافذ ولكن قلبه منصرف نحو ابنه حَمَدْ فخرجت أقواله متضاربة وفيميون يحاول فهم قصد الرجل دون أن يجرح مشاعره، وفجأة اتجه الرجل جانباً ورفع الملآة عن ابنه الضرير قائلاً : فيميون يا عبد الله الحي هذا الصبي أصيب بالعمى فلا يبصر ، كلما سار اصطدم بشجرة أو جدار وتعثر في صخرة أو حفرة حتى غطت التشوهات وجههُ ، كلما خرج عن المنزل عاد محمولاً والدماء تنزف منه...هل تتحنن عليه يا سيدي وتصلي له .. إنني واثق إن إلهك قادر أن يشفيه .

حَمَدْ : أيوه يا سيدي ....فتحلّي عينيَّ ربنا يخليك ويطرح البركة فيك... عاوز العب مع أصحابي من غير ما أتخبط ولا أتبهدل.. الله يخليك يا سيدي صليلي .

لاح أمام عيني فيميون الأسد الضرير والأخ فلتـاؤوس البسـيط والأب ميناس ، ولا عجب فإن المسيح هو هو أمس واليوم وإلـى الأبد ، ولا غرابة فإن فيميون هو هو فليمون تلميذ الأب مينـاس الذي فتح الله على يديه عيني الأسد الضرير ...حنَّـت أحشـاؤه داخله ، وانحنى على الصبي في وداعه وحنان وأتضاع شـديد ، ووضع الصليب الذي أخرجه من جيبه علـى عينـي الصبـي وانسكب في صلاة عميقة طويلة أمام الله ... طالت الصلاة ووالد الصبي ينتظر بفارغ الصبر ويدعو الله ، ثم سمع صوت فيميـون يردّد " كيرياليسون ... كيرياليسون ... كيرياليسون " وإذ بحَمَـدْ تكثر حركته شيئاً فشيئاً محركاً يديه وكأنه يريد أن يمسك بشـيء لا يبصره جيداً ثم قفز من مكانه صارخاً: أبي..أبي إننـي أرى السماء، ألقى حَمَدْ بنفسه في أحضان فيميون يشـكره ويريـد أن يقبل يديه.. أخذ يقفز هنا وهناك ويصيح : إنني أرى الأشجار... أرى البيوت ... أرى الكلب والحمار ... هل رأيتـم ياناس ؟! القديس فتحلّي عينيَّ ... القديس فتحلّي عينيَّ ... هبـط السلالم وركض إلى الشارع في جلبة وضوضاء، وأبوه فـوق السـطح

يرقص فرحاً ... تجمع السكان والجيران وأهل القرية وارتفعت أصوات الزغاريد وانتشر الخبر انتشار النار في الهشيم ، ومع نشوة الفرحة اِنسل فيميون في هدوء وقد أدرك أن الرجل لا يريد بناءً ولكنه قد حصل على ما يريد.

أسرع فيميون إلى صالح : يا صالح يا صالح

صالح : نعم يا أبي .

فيميون : سنرحل من هذا المكان يا اِبني.

أدرك صالح بفطنته أن حَمَدْ الضرير قد نال نعمة الإبصار فانفرجت أساريره، وأسرع يلبي رغبة معلمه في الرحيل فبدأ يعدُّ العدة، وإذ بفيميون يقول له : لنترك كل شئ يا صالح ...لن نأخذ معنا شيئاً قط .

أطاع صالح كما تعود وأدرك أن معلمه يريد أن يترك المقتنيات البسيطة ربما تفيد فقيراً أو ضيفاً غريباً .

تجمع أهل القرية في بيت حَمَدْ يبصرون حَمَدْ الضرير المبصر يجرى ويلعب ويقفز فيباركون لأسرته، ثم قال أحدهم : يارجال هل نفرح وفيميون ليس في وسطنا ؟! ألاَّ نذهب ونشكره وندعوه

ليشاركنا فرحتنا ؟!

أجاب الجميع : وجب يارجال .

وذهب أهل القرية يلتمسون فيميون فلم يجدوه، بحثوا عن صـــالح فلم يعثروا عليه ... في كل شارع وفي كل بيت دون جـــدوى .. فقال كبيرهم : لنرابض هنا حتى المساء فلا بد إنه عائد عائد إلى مأواه ليلاً .. وأعدّت القرية العدَّة لإقامة ليلة عظيمة يحتفلون فيها بالصبي حَمَدْ ويكرّمون قديسهم فيميون الذي أرســله الله رحمــة لقرية الرحمة .

ولكن فيميون وصالح تركا قرية الرحمة بدون عودة وانطلقا بــلا هدف، ظلا يسيران الساعات الطويلة ، وفيميون يقــصّ لتلميــذه يوم ترك الكولوزيوم وسار بدون هدف ولم يكن يدري أن الــرب الإله كان يدبر حياته ويهدي خطواته إلى الأب ميناس والأخوة...

سأل صالح معلمه : ولماذا تركت هذا المجتمع الســعيد والبيئــة الطاهرة النقية ومجمع الأخوة يا أبي ونزلت لتعمل في العالم .

فيميون : لقد هجم البربر على المكــان فــهدموه ، وقتلــوا الأخ زخارياس ، وطمسوا بئر المياه فتفرقنا .

مرّ فيميون على قرى عديدة ولم يشاء أن يمكث فيها بل تجاوزها مع تلميذه صالح وأكمل مسيرته واضعاً في قلبه أن يبتعد عن قرية الرحمة بمسيرة ثلاثة أيام ... مالت شمس النهار للمغيب فجلسا تحت شجرة ضخمة عجوزة تدلت أغصانها إلى الأرض فأنبتت جذوراً وصارت سيقاناً تحمل أغصاناً وأوراقاً ، وفي ثنايا هذه الشجرة وبناتها ظهر تجويف عميق لم يشغل فيميون أو صالح نفسه به ..جلسا ليقضيا ليلتهما في هذا المكان ، ولم يتذوقا الطعام منذ الأمس ولكنهما اعتادا هذا الأمر بسبب زهدهما وتقشفهما الزائد .. قال صالح : سيدي فيميون .. ألاّ تحتاج إلي القوت بعد مسيرة يوم كامل ؟

وإذ بهما يسمعان حركة داخل تجويف الشجرة فظن صالح أنها مأوى لأحد وحوش الأرض ، وإذ بصوت يصدر من جوف الشجرة : فيميون يا رجل الله إنني مازلت أنتظرك ..

مازلت أنتظرك يا ابني ..

أهلاً بك يا قديس الله الحي .

وإذ برجل عجوز مسنّ عابدٌ يخرج عليهما من جوف الشجرة

بلحيته الكبيرة وشعر رأسه الذي استطال يرتدي ثوبا بالياً يكشف من جسده أكثر مما يستر .. لكن في صوته حنان وفي وجهه ضياء يجبر من يراه أن يحبه ويهابه ، رشم ذاته بعلامة الصليب وسجد أمام فيميون الذي بادله ذات المطانية ، وهكذا فعل مع صالح ، وجلس معهما يتحدث هو وفيميون بعظائم الله وصالح ساكت ساكن صامت يحسد نفسه برؤية هذين القديسين العظيمين.

استضاف العابد العجوز فيميون وتلميذه على طعام بسيط خبز مبلل وقطعة من الجبن وعدّة حبات من الزيتون ، فأكل فيميون وصالح بينما دخل العابد مغارته الحية ثم خرج إليهما وفي يده فأس وهو يقول :

يا فيميون رجل الله .. مازلت أنتظرك من سنين هذه عددها .. منذ أن طلبت من إلهي أن يعلمني بزمن انتقالي وانطلاقي إلي موطني فقال لي " اليوم الذي يأتي فيه فيميون تأتي إلي " .. مرت أيام وشهور وسنين طويلة وكل يوم أتوقع مجيئك المبارك والآن أتيت أيها الرجل الطوباوي .. الآن أنطلق من سجن هذا الجسد وأعود إلي وطني السماوي ، واعلم يافيميون أن الله أعدك

لرسالة عظيمة في بلاد بعيدة فلا تخالف مشيئته .. جثي العابد على ركبتيه يصلي فأضاء وجهه بلمعان عجيب جعل الرهبة تسري في جسد صالح . ثم نام هذا القديس على ظهره ورشم ذاته بعلامة الصليب وأسلم روحه في سلام عجيب وإذ برائحة بخور عطرة جدا تعبق المكان .. لقد انكسرت القارورة ففاحت رائحتها ...

أمسك فيميون الفأس يحفر قبر القديس ، وصالح يبادله العمل ، وأخيرا حملا جسده الطاهر وكفناه في الحصيرة التي كان يملكها

قال صالح : يا أبي أننا نسينا أن نسأل هذا القديس عن أسمه .

فيميون : يا بني ما أكثر المجهولين في هذا العالم ولكنهم معرفون في السماء .. في الدهر الآتي نلتقي بهم ونتعارف عليهم .

وما كاد فيميون يجلس مع صالح يستريحا في هذا المكان ويباتا ليلتهما ، وإذ بقافلة عظيمة عائدة من بلاد الشام إلى بلاد العرب بها مئات الجمال محملة بخيرات الله .. يسبقها الكشافة ويحيط بها الحرس ويتقدمها الحداؤن الذين يغنون للجمال.. ظل صالح

يتابع القافلة وهى تعبر عليهما في طابور طويل حتـــى انتـهت وذهبت إلى حال سبيلها ، ولكنه فوجئ ببعض الرجال الأشـــداء من رجال القافلة يعودون إليهما ويقبضون عليـهما ويجذبونـهما بشدة وقسوة وصالح يقول لـهم : مـاذا فعلنـا حتـى تقبضـوا علينا؟! ... إننا أناس شرفاء ولم نخطئ في حق أحد ...بينما ظـل فيميون صامتا تلمع أمامه كلمات العابد " .. فلا تخالف مشيئته.." جدوا في السير حتى وصلوا إلى قائد القافلة فدفعوهمـا أمامـه قائلين : هوذا الجاسوسان يا سيدي .

فأمر القائد فقيدوا يدي كل واحد منهما خلف ظـهره وقادوهمـا معهم ، وهم يحيونهما بصفعات قوية ..اختفى ضوء النهار تمامـا وحل الظلام فلا شمس ولا قمر إلا ضوء النجوم فأمر القائد فـإذ بالقافلة تتوقف .. أُنيخت الجمال ونُصبت الخيام وأُشعلت النـيران وجلس الرجال يأكلون ويتسامرون ويضحكون ثم أسلموا أنفسـهم للنوم بينما ظل رجال الحرس يقظين على سلامة وأمـن القافلـة العظيمة ، أما فيميون وصالح فقد أوثقوا أقدامـهما لئـلا يـهربا فصار كل منهما مثل ذبيحة حيَّة معدة للذبح ، ومع هـذا الـذل

وهذه المهانة فإنهما انشغلا بالحديث عن بولس وسيلا سجينا فيلبي ، ثم صارا يصليان ويسبحان الله والحراس يسمعونهما .

وفي الصباح الباكر جدّت القافلة في المسير، وعندما لاحظ أحد زعمائها ما تحلى به فيميون وصالح من صبر وتسليم ، وكان قد سمع صوت الصلاة والتسبيح لذلك حدّث قائد القافلة الزعيم " الغنداري " عنهما ، فطلبهما ليقف على حقيقة أمرهما ... سأل الزعيم الغنداري إحدهما : ما اسمك يا رجل ؟

فيميون : عبدك فيميون يا سيدي .

غنداري : وأنت ما اسمك ؟

صالح : عبدك صالح يا سيدي .

غنداري : ما أنت بصالح يا صالح .. لصالح من أنتما تتجسسان ؟ وقبل أن يجيب أحدكما فليعلم إن من يكذب عليّ أسلخ جلده وأفقأ عينيه قبل أن أرسله لمدينة الأشباح .

وقبل أن يجيب أحدهما وإذ بسهم ينطلق نحو غنداري فيمرق بجواره ويكاد يلامسه ... يظهر في الأفق عدة رجال يطلقون السهام على القافلة بدون تصويب ... ظن الغنداري أن هؤلاء

جاؤا ليخلصوا فيميون وصالح فصاح فيهما : الويل لكما ولكـــل من يتبعكما ، ومن يخلصكما من يد غنداري ؟!

وإذ برجال القافلة يصيحون صيحة الحرب وينطلقون كالأســـود الهائجة ففرّ المهاجمون وكرّ خلفـــهم رجــال القبيلـــة يســـابقون الريح ... أدرك فيميون بقريحته العسكرية أن هناك فخاً نُصِـــب بمهارة للقافلة ، فصاح في القائد غنداري : سيدي.. سيدي مُـــرْ رجالك أن يعودوا .. ما هذا إلا فخاً منصوبـــاً للقافلـــة والعـــدو الحقيقي قد يكون كامناً في الجهة الأخرى ينتظر تشتت رجـــالك فيحمل عليكم حملته الشرسة .

ولم يدرى الزعيم غنداري كيف أطاع فيميون الأســـير موضـــع شكه، فصرخ صرخته المدوية التي يفهم مغزاها كـــل رجالـــه فتردّدت نفس الصرخة وإذ بالجميع يركضون نحو القافلة بأســرع ما يمكن ، وإذ بهم في مواجهة عدو عظيم ارتبكت صفوفه عندما فوجئوا بانقلاب رجال القافلة عليهم ... احتدمت المعركة وحمـــى وطيسها ، وأسرع الزعيم غنداري يفك قيود فيميون الذي أخــــذ يرشده في كيفية الدفاع والتصدي للعدو الغازي ، وبفضل فيميون

انهزم العدو سريعا ولاذ بالفرار وكانت خسارة القافلة أقـــل مـــا يمكن .

حملوا الجرحى على الجمال وكانوا قد أسروا بعض رجال العـدو فشدُّوا وثاقهم وقادوهم معهم ، وعادت القافلة تجدُّ فـــي المســـير ورجالها في اشد يقظة وانتباه لئلا يفاجئهم العدو بغتة فيقـــــهرهم وينهب أمتعتهم ، أما الزعيم غنداري فقد تمسك بوجود فيميـــون وصالح بجواره ، وكان يشعر أن فيميون هو صاحب الفضل فـي نجاة القافلة ورجالها من فخ قطاع الطريق ، وتأكد إنهما رجـلان شريفان وليس هما بجاسوسين كما كان يظن ، فوضع في قلبه أن يستضيفهما عدة أيام ثم يعيدهما مع قافلة أخرى إلى بلادهما .

مرت الأيام خوالي ووصلت القافلة إلى " يثرب " وهـــي عبـــارة عن سهل من الأرض الزراعية تكتنفه الجبال مثل جبل " أحـــد " شمالا وجبل " عير " جنوبا .. يكثر فيها النخيل ولاسيما بـــالقرب من الجبال ، ويحيط بها سور يحميها من الأعداء .. اســـتراحت القافلة خارج سور المدينة وتزودت بالمياه التي تحتـــاج إليـــها ، وأكملت مسيرتها متجهة إلى مكة .

وفي الطريق من يثرب إلى مكة مرّت القافلة على " مناه " وهـي صخرة سوداء منصوبة بين يثرب ومكة يعبدها العرب ويقدمـون لها الذبائح ، واسم " مناه " مشتق مـن الفعـل منـى أي أراق ، ووادي مناه هو الوادي الذي تراق فيه دماء الذبائح ، ومناه مـن أشهر آلهة العرب الثلاث " اللات والعزى ومناه " أما " الـلات " فهي صخرة مربعة يعلوها بناء وأسفلها " غبغب " لحفظ النـذور والهدايا واسم اللات هو اسم الجلالة " الله " مـع إضافـة تـاء التأنيث ، ويقال أن اصل المكان كان يعيش فيه رجـل صـالح وعندما مات غلّفوا قبره واتخذوه مكانا للعبادة ، أما " العـزى " فهي مؤنث الأعز وهي عبارة عن بيت به وثن ومحاط بثـلاث شجرات وكان موقعه بالقرب من عرفات ، وكان البعض يطلـق على هذا البيت " بسا " لأنهم كانوا يسمعون داخله أصوات .

وصلت القافلة إلى " مكة " أو " بكـة " وكـلا الاسـمان يعنـي الازدحام تقع مكة في بطن واد وعر مجدب ليس به أي نوع مـن الزراعة أو الأشجار ، والجبال تحيط بـهذا الـوادي مـن كـل الجهات ، ويبلغ طول مكة من الشمال للجنـوب نحـو الميلين

وعرضها من اسفل أجياد إلى ظهر قيعان نحو الميـــل ، وكـل مبانيها من الأحجار المقطوعة من الجبال المجاورة ، وليس بمكة مياه تصلح للشرب إلا مياه بئر زمزم .

وفي مكة الكعبة بيت زحل وهي من أشهر سبع بيوت في هـــذه البلاد المتسعة الأرجاء.. مثلها مثل " بيت غمدان " في صنعــاء الذي بناه الضحاك للآلهة الزهرة ونقشت عليه عبارة " هـــادمك مقتول " ، ومثل كعبة نجران التي كانت أيضا بيتا للأصنام .

حطت القافلة الرحال للاستراحة في مكـــة التـــي ازدحمـت بالحجاج العرب الذين أخذوا يطوفون حول الكعبة ، وكان أهـل قريش هم الذين يملكون ملابـــس الإحـــرام فيعطونـــها للعـــرب القادمين من أماكن متفرقة . الرجل يعطي الرجل والمرأة تعطـــي المرأة ، ومن لم يُعطَ ملابس الإحرام طاف بالبيت عريانا ، وقـد ظهر كرم العرب في التسابق للقيام بالرفادة والسقاية ، والرفـــادة هي تقديم الطعام للحجاج وأما السقاية فهي تقديم الماء لهم ، وقـد بنيت الكعبة من الأحجار البركانية التي اعتقد الناس إنها ســاقطة من السماء ، وبلغ من إجلالها إن الرجل العربي لم يكتف بعبـــادة

الحجر الأسود بالكعبة بل كان يأخذ في أسفاره أي حجـــر مـــن أحجار الكعبة يصلى إليه ويستأذنه في الإقامـــة والسـفر ، أمـــا الكعبة فقد ازدحمت بالأصنام والأوثان لأنه لكل قبيلة صنم خاص تتعبد له ، والصنم على شكلّ إنسان مصنــوع مــن المعـدن أو الخشب ، ومن هذه الأصنام " ســواح " علــى شـكل امــرأة ، و"يغوث" على شكل أسد ، و" يعوق " على صورة فـــرس ، و" نسر " على صورة النسر ، ولكن ما فاق عليـــهم جميعـا فـــي الأهمية هو " هبل " وهو تمثال كبير لرجل مصنوع من العقيـــق الأحمر أحضره العرب من الموآبيين الذين يقدســونه ويعبدونــه ويصنعون نماذج منه على أسقف بيوتهم وعلى التلال المرتفعـــة حيث يقدمون له الذبائح ليست الحيوانية فقط بل والبشرية أيضا ، وقد انكسرت ذراع " هبل " اليمنى فصاغوا له ذراعا من الذهب، وكانت توضع أمام هبل " الأزلام " وهي عبارة عن سبعة ســهام لا نصال لها ولا ريش فإذا أرادوا استشارة "هبل " في أمر ســفر أو حرب أو خلافه فإنهم يقدحون الســـهام أي يضربــون بـــهذه السهام في الهواء وبناء على المسافة التي تقطعــــها واتجاهاتـــها

يعرفون إرادة "هُبل" في الأمر من عدمه .
وكانت بعض القبائل تعبد الأوثان المصنوعة من الصخور والأحجار ، والبعض الأخر يعبد الأنصاب والنصب هو صخر أو بناء ولكن ليس له شكل معين .
تنهَّد فيميون قائلاً : يا إلهي متى تفتقد هذا المكان ؟!
وظنَّ أن هذا المكان هو موضع الرسالة المُعدَّة له إلاَّ أن العناية الإلهية رتبت له مكاناً أخراً ، فواصلت القافلة مسيرتها إلى الطائف حيث مستقرها ومرساها ...خرج أهل الطائف عن بكرة أبيهم يستقبلون ذويهم ، وجاء التجار من كل مكان .. أُنيخت الجمال ونُصبت الخيامِ وعُرضت البضائع وللوقت صار سوقاً عظيماً ، وسُمعت رنات العملات وجرت التعاملات ، أما قائد القافلة فقد ترك كل شئ وأسرع يسأل عن اِبنه الوحيد الذي سمع أنه مريض وملازم الفراش ، وإذ كان هناك طلب مُلح من التجار على شراء الأسرى من قطاع الطرق لذلك قامَ نائب الزعيم ببيع الأسرى ، وللأسف الشديد فانه عرض الضيفين فيميون وصالح للبيع أيضاً ، فبِيعَ صالح إلى أحد التجار وفيميون

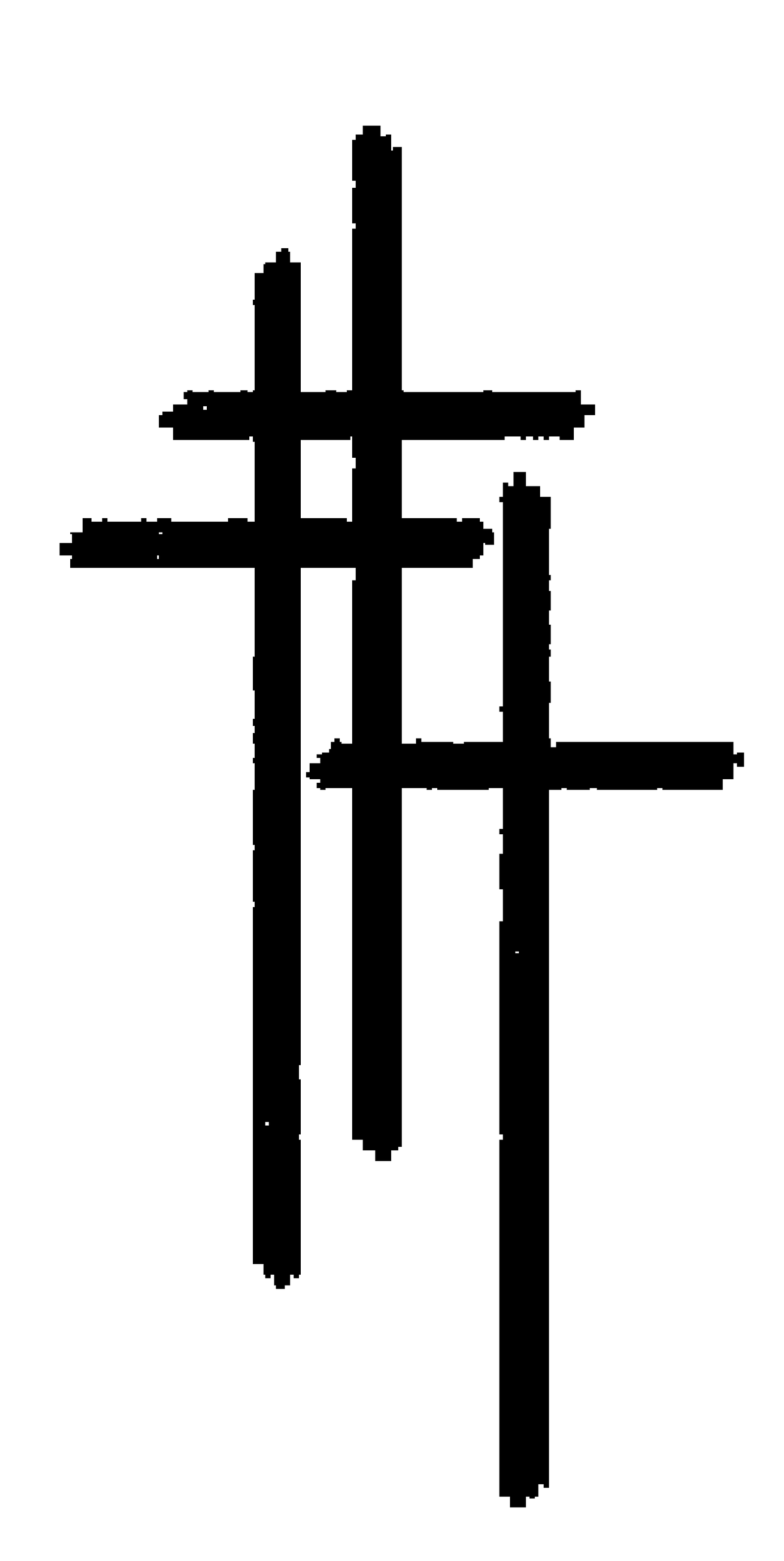
إلى تاجر آخر تظهر عليه علامات الفظاظة ويدُعى " الهاشم " ، وفي هذا لم يعترض فيميون بل قال : يا أبتاه لتكن لا إرادتي بل إرادتك .

وشهد سوق الطائف وداعاً غريباً إذ رشم فيميون ذاته بعلامة الصليب وسجد أمام صالح وصالح يبادله المطانية ، واحتضن كل منهما الأخر ، وهمس فيميون في أذن صالح الذي كان متأثراً جداً جداً فلم يقوَ على منع دموعه من الانهمار مدراراً : قد لا أراك ثانية يا أبني ولكنني أثق أن الله يدبر كل أمور حياتنا وسيجمع شملنا ثانية أن لم يكن على أرض الشقاء ففي دار البقاء .. لتكن صالحاً ياصالح وتذكرً دائماً يوسف الصديق العبد الأسير في أرض مصر وأمانته وطهارته .. إننا لا نملك اتخاذ القرار ولكننا نثق تماماً في حكمة الذي يتخذ القرار ويدبر سائر أمورنا .. لتصحبك السلامة يا صاحبي ، وقبلّ كل منهما الآخر مودعاً إياه .

أدرك قائد القافلة وهو في بيته بجوار ابنه المريض أنه انصرف سريعاً وترك ضيفيه فيميون وصالح بالسوق ، وكم يخالف هذا

الأمر التقاليد العربية التي تشتهر بالكرم وواجب الضيافة فأسرع بإرسال أحد رجاله إلى السوق ليُحضِر الضيفين معززَين مكرمَين ، وذهب الرجل فوجد ما حدث قد حدث ، وكان سيد فيميون قد غادر الطائف ولا يعلم أحد إلى أين ؟ أما الذي اشترى صالح فقد أدركوه فاستعادوا صالحاً منه وردوا ماله مضاعفاً...

وكم أسِف الزعيم غنداري على ما جرى لفيميون الذي أنقذهم من الموت والسبي !! وكم بكّت نائبه ونحّاه من منصبه !! ...ظل صالح معززاً مكرماً عدّة أشهر ، وعندما فقدوا كل أمل في الوصول إلى أية أخبار عن فيميون ترك الطائف وعاد مع قافلة ذاهبة إلى بلاد الشام .



الفصل الخامس : الإله العالي

ركب الهاشم على جمله ووضع مشترواته على جمل آخر ربطه بجمله والعبد يتبعه ... بدأ مسيرته تجاه الجنوب قاصداً وطنه نجران وطالت المسيرة فاستغرقت عدّة أيام ذاق فيها فيميون عناء السفر فلم يكن سيده يسمح له بركوب البعير إلاّ عندما يصاب بالإعياء الشديد ويعجز عن مواصلة السير ، ومع هذا العذاب فإن كل ما يشغل فيميون هو الرسالة التي أعدّها الرب له .. كان يتضرع إلى الله لكيما يمنحه الصبر على ظلم وثقالة هذا السيد الفظ ولاسيما أنه عجز عن الحصول على رضى سيده رغم أمانته وولائه وطاعته ووداعته ، وحتى تقدُّم سنه لم يشفع له لدى سيده بل بالعكس كان السيد يتفاخر أمام نفسه أنه استطاع أن يربي هذا العبد النصراني الكافر ، وأرجع فضائل فيميون إلى لسانه وعصاه ... في كل مرة يحط الهاشم رحاله ليستريح يقوم فيميون على خدمته وراحته ، وفي إحدى المرات

بينما كان الهاشم جالساً يأكل ويشرب ويتلذذ والعبد يخدمه فإذ بالعبد يصرخ : سيدي ... سيدي الهاشم اِحذر الحية الرقطاء .. أسرع الهاشم بالهرب ثم ضرب الحية بحجر فقتلها ، ولولا تحذير فيميون لأصابته الحية وقتلته بسمها ولأصبح فيميون حراً طليقاً ، ولكن فيميون الذي سلَّم كامل إرادته لإلهه يعجز تماماً عن الامتناع عن عمل الخير ، ومع هذا أيضاً فإن الهاشم لم يعترف له بهذا الفضل ... آه .. لم يكن الهاشم من نوعية السادة الكرماء مع عبيدهم ، ولم يكن من نوعية السادة الأذكياء الذين يحسنون معاملة عبيدهم بغية الحصول على إخلاصهم ووفائهم وولائهم في الخِفية والعلن ، ولكنه كان غير هذا وذاك .

وأخيراً وصل فيميون إلى منطقة نجران التي تقع شمال بلاد اليمن ، وهي منطقة متسعة تحتوى على أربعة سهول زراعية الأول في الغرب وهو سهل متسع ومرتفع ، والسهل الثاني يقع في وسط المنطقة ويمتد شرقاً حتى بلاد " يام " على أطراف الرمال الواسعة للربع الخالي وهو أكثر السهول خصوبة ويُسمىَ باسم " سهل نجران " ، أما السهلان الثالث والرابع فيقعان شمال

سهل نجران ويمتّدان أيضاً إلى بلاد يام يُسـمىَ أحدهمـا باسـم " وادي حيونا " والآخر باسم " وادي إدمة " .

وفي سهول نجران تنتشر زراعة الخضر والفاكهة والقمح ، أمـا أشجار النخيل فإنها الطابع السائد في المنطقـة كمـا اشـتهرت نجران بالبخور والمر اللذان تصدرهما إلى بلاد الشام .

وتُعتَبر نجران مُلتَقى الطريقين التجاريين الكبيرين أحدهما الممتد من حضرموت جنوباً إلى بلاد الشام شمالاً ، والآخر المُتجه إلـى الشمال الشرقي حيث بلاد ما بين النهرين ، أما عاصمة نجـران فهي مدينة " الرقيمات " التي قام القائد اليونـاني " فيساسـتونَ " بتحصينها وقد حفر خندقاً عظيماً خارجـها لتخزيـن الميـاه ، وبالمدينة ما زال يوجد حامية رومانية وهي تُعتَبر البقية القليلـة المتبقية من الجيش الضخم الذي قاده " ايوس جالوس " الحـاكم الروماني بمصر ، وكان عدده يبلغ نحو ثمانية آلاف وخمسـمائة بالإضافة إلى خمسمائة من اليهود وألف من البدو ، وقد صـاحب هذا الجيش عالم الجغرافيا الروماني الشهير " استرابو " ... لقـد هلك معظم رجال هذا الجيش الضخم بسبب صعوبة الطريق وقلة

المياه ومكر العرب حتى لم يتبق منه إلاَّ هذه الحامية الصغيرة .
وفي قرية من قرى نجران عاش فيميون كعبد مُحتَقر لسيد فـظ ، ومع هذا فانه لم يتشكك أبداً في محبة الله له ، وما زال ينتظـــر الرسالة العظيمة التي تمجد اسم الله ... كان للهاشم منزلاً كبـــيراً بحديقة متسعة وإسطبل للجمـــال وحظـــيرة للماشـــية والـــدواب وفيميون لا يكف عن العمل بكل جد ونشاط مـــهتماً بســـيده وآل سيده حتى اعتلت صحته .
كان يلذُّ لسيده أن يتلصص عليه ليلاً ويفرح عندما يسمعه يصلـــى لإلهه :
يا إلهي يا من صرتَ عبداً من أجلي أشكرك ...
يا إلهي يا من بعبوديتك مزَّقتَ صك عبوديتي أحمدك ...
يا إلهي يا من بصليبك سحقتَ قوة الشيطان أعنى ...
يا إلهي الصالح بارك سيدي الهاشم وكل آل بيته ...
يا إلهي المحب خلص شعب نجران من عبودية إبليس المرة ...
وكان سيده لا يزال واقفاً لا ينصرف حتى يسمع اِســـمه يـــتردَّد على لسان عبده يطلب من إلهه أن يحرسه ويحميـــه ويباركـــه ،

ومع أن هذا الهاشم كان يشعر بصلاح العبد ، وأحس إن خيراته قد زادت وأملاكه قد اِتسعت منذ أن وطأ هذا العبد النصراني عتبة داره إلاَّ أنه كان يحاولِ دائماً أن يُقنِع نفسه بأن هذا الخير الوفير ما هو إلاَّ لرضاء إلهه العالي عنه ؛ فأهل هذه القرية جميعاً يعبدون نخلة ضخمة عالية يسكنها الشيطان ويتكلم منها فيخبرهم عن الغيبيات ، فيقدمون له التقدمات والذبائح يسألونه الحماية والحراسة والمعونة ولاسيما في أسفارهم ، ويستشيرونه في كبرى أمورهم، ويدعونه بالإله العالي ، وفي كل عام يقيمون له عيداً ضخماً ولا ينصرفون إلى بيوتهم حتى يسمعوا صوت رضاؤه عنهم .

وأقبل يوم العيد ، وهذا هو العيد الأول لوصول فيميون للقرية لأنه أقبل منذ نحو عام عقب الاحتفال بالعيد الماضي مباشرة.. تجمَّع أهل القرية رجالاً ونساء وأطفالاً وشيوخاً وأولاداً وبناتاً في الساحة التي تتوسطها النخلة التي يعبدونها ... ألبسوا النخلة الثياب الفاخرة وعلَّقوا في أغصَانها الأقراط الذهبية فبدت آية من الإعجاب ، وأحرقوا البخور ، ونحروا الذبائح ، وظلوا طوال

الليل يرقصون حول إلههم ويدقون الطبول متشـــوقين لســماع صوت رضى إلههم عليهم ، ولكن إلههم صمت وظل صامتاً فــي ليلة عيده فتحولت أفراح القرية إلى أحزان ... سطعت الشــمس فانصرفوا مهمومين متشائمين ... أعادوا الكرَّة في الليلة التاليــة دون جدوى فكثرت التنبؤات بالخراب المتوقع أن يحلَّ بالمكــان وسكانه نتيجة غضب إلههم العالي عليهم .. تسابقوا فـــي ذكــر الأسباب التي ألت إلى هذه الغضبة والمقاطعة .

وفي اليوم الثالث أعادوا نفس الكرَّة واستبدلوا الثياب بثياب أفخـر والأقراط الذهبية بأقراط أجمل وأثمن ، ونحروا ذبائح أكثر فأكثر وهم ينادون إلههم :

إلهنا يا عالي .. ياساكن العلالـــي طُلْ علينا .. دا إحنا بنلالـــي
شعبك بيحبك..عايش في عزك ظلّل علينا .. دا اسمك غـالي
غضبان علينا مش سائل فينـــا أشفق علينا..ياإلهنا ياغـــالي

وفي الهزيع الأخير من الليل جاء صوت الإله العالي :

إنني غاضب ...غاضب ... غاضب جداً...

احضروا عبد الهاشم ليعبدني ... وإن لم يعبدني فليُحَرق أمـــامي

بالنار.

سمع الجميع هذا الصوت ، وأسرع الهاشم مع أخوته وأقربائه وعظماء المدينة إلى الحجرة التي يُقيم فيها فيميون.أسرعوا ليمسكوا بالعبد ويقدمونه أضحية لإلههم الغضبان ... أسرعوا في هدوء دون جلبة ولا ضوضاء لئلا يهرب العبد منهم فتحل النقمة عليهم وعلى أولادهم ... تسلّلوا إلى الحجرة التي بها فيميون وإذ بهم يبصرون نوراً سماوياً غاية في الجمال والروعة يشع من الحجرة التي لا باب لها .. اندهشوا لأنهم يعلمون أنه لا يوجد في الحجرة أي مصدر للضوء ثم أن هذا النور الذي يسطع ويشع ليس له مثيل ولم يروا مثله قط في نجران ولا في أي مكان كان، وسمعوا صوت فيميون :

يا سيدي الصالح يسوع المسيح أنقذ أهل نجران من الضلال ..

يا سيدي الصالح أنت تعلم كم يخدعهم الشيطان بحيله الرديئة ..

يا سيدي الصالح تحنن على خليقتك واعتقها من عبودية إبليس..

يا سيدي الصالح أنقذهم من نار جهنم التي لا تطفأ والدود الذي لا يموت ...

اِقتحم الهاشم حجرة عبده فيميون ونادى بصوته الأجش الفـــظ : فيميون ... اِتبعني .

وترك الحجرة وفيميون في أذياله في طاعة كاملة يتبع سـيده وإذ بمجموعة من رجال نجران يطوقونه ويمسكون بتلابيبـــه وكأنـــه لص بينهم .. صاروا يتهامسون :

- يا الهاشم.. مع مَنْ كان يتكلم عبدك ؟
- كان يتكلم مع إلهه الناصري المصلوب ... كل ليلـــة يتكلـــم معه ويطلب منه أن يبارك سيده الهاشم ، وينقذ أهل نجـــران من كفرهم .
- ومن أين النور الرائع الذي كان ينبعث من حجرته ؟
- إنه نور إلهه الذي يعبده
- إننا في ورطة .. نرضى من ؟! ونغضب من ؟! لو أرضينــا إلهنا العالي وضحينا بفيميون ربما يحل علينا غضب إلهـــه الذي عاينا نوره عياناً ، ولو أطلقنا فيميون فقد يحل علينـــا غضب إلهنا .

سمع فيميون همساتهم وفهم نيتهم الشـــريرة ، وأدرك أنـــه فـــي

مواجهة الشيطان والموت ، ولكن الموت لم يعد مزعجاً له على الإطلاق لأنه قد مات منذ زمن طويل عن هذا العالم .. تهلل فيميون وأدرك أن وقت تحقق الرسالة قد آن ، وأتى وقت الشهادة لإلهه .. إن الله أعدّه للاستشهاد لكيما يلحق بكريس ولمباس .. قادوا فيميون وهو يردد مزاميره ويسير في شجاعة بينما غشي الرعب قلوب عبدّة الشيطان .

وصل فيميون إلى ساحة الإله العالي فتهلل أهل القرية جميعا وهللوا لفيميون الذي سينقذهم ويفديهم من غضب إلههم .. قدموا لفيميون البخور ليحرق للإله العالي ويشاركهم الصلاة والسجود ولكنهم فوجئوا برفضه الشديد قائلا :

يا آبائي وأخوتي اعلموا أن الساكن في النخلة هو الشيطان الذي يريد أن يغويكم ويأخذكم معه إلى جهنم النار..

لم يكن الشعب الهائج مستعدا أن يستمع إلى المشورة أو يناقش الأمور بالعقل والمنطق بل اندفعوا وأشعلوا النيران حتى ارتفعت السنة اللهب فكادت تضارع ارتفاع النخلة الضخمة ...وصاروا يهدّدون فيميون دون جدوى .. أوثقوا يديه خلف ظهره وهو لم

يقاوم مثل حمل صامت أمام الذي يجزه ، أسلم نفسه تماما ومـــع هذا فالسلام لم يفارقه .. انزعـــــاج أهـل القريـــة وضجيجــهم وصراخهم لم يزعج نفسه الهادئة ... رشم ذاته بعلامة الصليـــب ودخل إلى النيران بأقدامه وهو يردّد " صوت الرب يقطع لـــهيب النار ..النار تسبق فتسلك أمامه وبلهيب تحرق أعـــــداءه الذيـــن حوله ... أضاءت بروقه المسكونة .. نظرت الأرض فـــتزلزلت ذابت الجبال مثل الشمع من وجـــــه الــرب .. كيرياليســون .. كيرياليسون .. "

عجبا ثم عجبا ...

ما هذا الذي يحدث ؟! لقد فقدت النيران خاصية الإحراق التــــي منحها لها الرب الإله بل صارت مثل هالة مجد تحيط بـــالقديس وهو رافع يديه يصلي ..

صمتت الطبول والألسن عُقِدت ، والأنظار تتأرجح بين فيميـــون القائم وسط النيران وبين رأس النخلة .. إن إلههم العالي يصـــرخ ويصرخ ويصرخ : إنني أختنق ...أختنق ...أختنق

وكأن النار تشب فيه ولا منقذ ..

وإذ بريح عنيفة تهبُ ... تتحول إلى إعصار فيكمش الرجال كــل الرجال .. الإعصار يقتلع النخلة من جذورها ويطيح بها بعيــدا بعيدا بعيدا .

أهل القرية وقعت عليهم رعبة الموت ... إن إله فيميــون صنــع حربا شعواء مع إلههم العالي فهزمه شر هزيمة ولابد أنه سـيهدم ديارهم ويقتل أولادهم ويسبي نساءهم انتقاما لعبـــده فيميــون .. انتظروا النقمة والانتقام ، ولكن خابت توقعاتهم ففرحـــوا حيـن خابت .. هدأت الرياح وأبرق نور سماوي جميل يعلن بداية عهد جديد لهذه الأرض التي طالما حكمها الشيطان .. خرج فيميـــون من الأتون ليقول لهم :

سلام لكم يا أهلي واخوتي وأحبائي ...

الله الذي أوجدكم من العدم وفداكم بدمه على الصليب هو يحبكم.. يحبكم .. ويبحث عنكم .

الله الذي يحبكم قد خلصكم من عبودية الشيطان ووهبكم الحريـــة والأمان والسلام ..

الهاشم : يا فيميون .. اقصد يا سيدي فيميون ... أنت حر طليــق

ولك أهب نصف ممتلكاتي ..

تكالم الرجال وكثر الكلام :

- هل إله فيميون بهذه القوة والجبروت ؟
- انظروا إلهنا النخلة لقد حملته الرياح بعيدا ولم يعد له وجود.
- لقد سقط إلهنا العالي وحملته الرياح .. ما أضعفه من إله ؟!
- عجبا لإله فيميون على محبته وتسامحه لنا ومعنا .
- شكرا لإله فيميون الذي أنقذ عبده من أتون النار ..
- شكرا لإله فيميون الذي أضاء علينا بنوره العالي .
- نحن نؤمن بإلهك يا فيميون قبل أن تحدثنا عنه لأننا أبصرنا نوره بعيوننا .

وفيما هم يتكالمون وتجتاحهم مشاعر الفرحة مع الرهبة وإذ بفيميون يختفي من المكان وليس له أي أثر على الإطلاق .

تسجّس البعض وقال : إلهنا العالي أعاد الكرة فسحق إله فيميون واختطف فيميون إلى جحيمه .

وقال البعض : كلا .. كلا ... إله فيميون هو الأقوى ... لقد اختطف عبده إلى سمائه ومُلكه .

الفصل السادس : الشمس تسطع

سطعت شمس حياة جديدة على أرض نجران التي عاشــت فــي ظلمة الخطية .. ظلمة الجهالة بمعرفة الإله الحقيقــي .. ظلمــة الحياة التي تقود إلى الظلمة الخارجية حيــث الــهلاك الأبــدي وصرير الأسنان .

تجمع أهل القرية في ساحة الإله العالي مع زعمـــاء نجــران ، وقائم وسطهم من يعلمهم ويعرفهم بالإله الواحد :

الله الواحد .. الكائن منذ الأزل والدائم إلى الأبد .

الله الواحد .. الذي هو روح بسيط لا تركيب فيه ولا ينقســم ولا يتجزأ ولا يتعدد .

الله الواحد .. الموجود في كل زمان ولا يخلو منــه مكــان .. لا يسير ولا يذهب ولا يجئ ولا يصعد ولا ينزل ولا يترك مكانـــا ليذهب إلى آخر إذ هو مالئ الكل بلاهوتـــه ..هــو معنــا الآن ويبصرنا ويسمعنا .

الله الواحد..وحده غـير المحـدود وغـير المفحـوص وغـير المستحيل.

الله الواحد..الكامل في ذاته المتكامل في صفاته الغني عن كـل شئ وعن كل خلائقه .

الله الواحد .. الموجود بذاته الناطق بكلمته الحي بروحه .

الله الواحد .. خالق كل شئ الحامل كل الأشياء بكلمة قدرته .

الله الواحد .. الذي هيأ كل شئ للإنسان قبل خلقته ، وبعد خلقتـه سلّطه على كل الخليقة .

الله الواحد .. الذي خلق الطغمات السمائية والإنسان من محبتـه وجوده وكرمه وليس لكيما يعبدوه .. لم تكن أنت محتاجـا إلـي عبوديتي بل أنا المحتاج إلي ربوبيتك .

الله الواحد .. الذي لم يترك الإنسان عندما سقط بغواية الحية بـل افتقده إذ أرسل ابنه الحبيب من أجل حياة العالم .

الله الواحد .. الذي لم يترك الإنسان بعد أن فداه بل أرسل روحه القدوس ليسكن فيه .

الله الواحد .. الذي سيأتي على السحاب ويختطفنا معـه لنكـون

معه في ملكوته إلي دهر الداهرين ...

ظل فيميون يُعلّم ويعظ وأهل نجران فاغرين أفواههم منذهلين من محبة الإله الواحد الذي أرتضى أن يصلب من أجل خلاصنا ، فقال لهم :

إلهنا الصالح قال " أفغر فاك فأملأه " .. وفعلا بدأت القلوب الواجفة تهدأ وترتوي من المعرفة الإلهية مثل ارتواء الأرض اليابسة بالمياه .

ولكن من أين جاء فيميون بعد أن اختفى من المكان ولم يعثر عليه أحد ؟

لقد لمح فيميون عقب إطاحة الإعصار بالنخلة أن هناك خمسة أشخاص ركضوا بعيدا في اتجاه معين ففهم فيميون أن الشيطان الذي لقي هزيمة ساحقة لا يريد أن يعلن فشله وهزيمته بل يريد أن يشعلها حريقا يحرق بها كل أهل نجران قبل إيمانهم بالإله الواحد . لذلك حرك هؤلاء الأشخاص الذين ركضوا إلي رؤساء نجران ينفثون سمومهم ويغيرون الحقيقة ويحركون مشاعر العداء لفيميون وأهل القرية ، والشيطان يشعل النفوس المتعطشة

للمذابح والدماء ، ولكن فيميون لحق بـــــهم وأبطـــل مشـــورتهم وفتنتهم الردية ، وقص لهم ما حدث بالضبط وأفهمهم أنه لو كان إلههم إله حقيقي لدافع عن نفسه وحميَ شعبه .. ثم دعاهم ليـــأتوا معه ليستوثقوا من صدق كلامه ، فجاؤا معه وسمعوا له وأصغوا وفغروا أفواههم عجبا من محبة الله الواحد للإنسان .

على كلٍ فقد توحدت كلمة أهل نجران وناشدوا فيميـــون ليقبلـــهم عبيدا لإلهه أي ليصيروا مسيحيين مثله تمامــــا.. ولكـــن كيــف يصيرون مسيحيين بلا معمودية ؟

وكيف يتعمدون بلا أب كاهن ؟

ونشكر الله أن فيميون كان قد حصل على نعمة الكـــــهنوت مـــن الأسقف " باسيلكوس " عندما رشحه الأخوة ليعاون الأب ميناس.

أحضروا جرنا عميقا ملاؤه بالمياه وظل الأب فيميـــون يصلـــي قداس المعمودية على المياه التي أخذت قوة الـــولادة الجديـــدة ، ووقف أهل نجران جميعهم متجهين للغـــــرب رافعيـــن أياديـــهم اليسرى والأب فيميون يقول جملة جملة وهم يرددون خلفــــه .. إنهم يجحدون الشيطان الذي طالما خدعهم وأضلهم :

" أجحدك أيها الشيطان ..وكل أعمالك النجسة ..وكل جنـــودك الرديئة .. وكل قوتك ..

وكل عبادتك المرذولة وكل حيلك الرديئة والمضلة ..

وكل جيشك .. وكل سلطانك ..

وكل بقية نفاقك .. أجحدك .. أجحدك .. أجحدك "

ثم نفخ في وجوههم قائلا : " أخرجي أيتها الأرواح النجسة "

ثم اتجهوا للشرق رافعين أياديهم اليمنـــى يرددون وراء الأب فيميون اعترافهم الحسن :

" اعترف لك أيها المسيح إلهي .. وبكل نواميسك المخلصـــة ... وكل خدمتك المحيية .. وكل أعمالك المعطية الحياة ..

أؤمن بإله واحد الله الآب ضابط الكل ..

وابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا ..

والروح القدس المحيي ..

وقيامـــة الجســد .. والكنيســة الواحــدة الوحيــدة الجامعـــة الرسولية آمين"

ثم وقفوا أمامه طابورا طويـــلا طويــلا .. ويالفرحــة الســماء

بالخراف الضالة العائدة إلي حظيرة الحياة ..

والأب فيميون يسأل كل واحد : هل آمنت ؟

وهو يجيبه : نعم آمنت .

ويكرر نفس السؤال مرة ثانية ويسمع الإجابة . ثم يفعل هذا مـرة ثالثة .. ويجعله ينزل في جرن المياه .. يغطسه لأول مرة وهــو يقول: " أعمدك يا فلان باسم الآب " . ثم ينهض المُعمَد ليغطســه مرة ثانية قائلا " والابن " . ثم في المرة الثالثة يقول " والـــروح القدس " .

لقد ولدوا ولادة جديدة تؤهلهم ليصيروا أبناء الله مـــن مواطنـــي الملكوت.

وبعد انتهاء المعمودية ظل الأب فيميون متحيراً .. سأله الهاشم : مالي أراك متحيراً يا فيميون .. أقصد أيها الأب المكرم فيميون؟

الأب : نشكر الله ياسيدي أننا أتممنا سر المعمودية فصرتم أبنـــاء الله ، ولكن لابد من دهنكم بزيت الميرون ليسكن روح الله فيكم .

الهاشم : ألا يكفي أننا ولدنا من فوق وصرنا أبناء الله ؟!

الأب : الولادة من فوق أشبه بولادة الطفـــل ... علـــى صـــورة

خالقه ، ولكن هذا الطفل ألا يحتاج إلي اللبن الذي يغذيه والقوت الذي يقويه ؟

الهاشم : بلى .

الأب : هذا هو سر الميرون .

الهاشم : لا أفهم .

الأب : بسر الميرون يسكن فيكم روح الله القدوس يغذيكم ويقويكم ويعزيكم ويعلّمكم ويرشدكم ويزينكم ويبكتكم على كل خطية ويقدسكم حتى تصيروا مشابهين صورة ابنه .

الهاشم : ما أجمل هذا أيها الأب فيميون ؟! .. مادام روح الله يسكن فينا فهل سنصبح آلهة ؟!

الأب : كلا .. ليس معنى سكنى روح الله فينا أن نصير آلهة ، ولكن معناه أن نتمتع بمواهب الروح القدس داخلنا .. هو يعمل فينا ويهتم بنا اهتمام الأم بابنها الرضيع حتى ينضج ويصير كاملا .. ملء قامة المسيح .

الهاشم : وما المانع أن نأخذ سر الميرون .. إن كان الأمر يتطلب أموالا أو تقدمات فنحن مستعدون لهذا .

الأب : كلا .. الروح القدس لا يعطى بدراهم يا سيدي الهاشـــم ، ولكن المشكلة أنني لا أملك هذا الزيت .

الهاشم : لدينا زيت كثير في المنزل .. هل أتي به إليك ؟

الأب : زيت الميرون ليس أي زيت .. إنما هو الأكفان والحنوط التي كانت على جسد مخلصنا الصالح عند موته وعـــاينت قـــوة وأمجاد القيامة مضافاً إليها أنواع من الزيوت والمواد العطريـــة والأطياب ، وهذه عندما يُدهَن بها الإنسان يؤهـــل لســكنى روح الله القدوس داخله .

الهاشم : وأنت لا تملك هذا الكنز الثمين أيها الأب !! ... حقا إنها مشكلة عويصة .

الأب فيمون صارح أهل نجران بكل شئ ، وطلـــب منـــهم أن يحنوا رؤوسهم ورفع صلاة قوية لروح الله القدوس :

" يا روح الله القدوس أيها المالئ كل مكان وزمان ..

يا من أظهرت قوتك يوم الخمسين على شكل ألسنة نار وهبوب ريح عاصفة على الرسل القديسين والتلاميذ الأطهار .

حل على شعب نجران لكيما تسكن فيهم ... "

وإذ بريح تهب والأرض تتزلزل ويحلُّ روح الله القدوس علـــى أهل نجران كما حلَّ من قبل فـــي أورشـليم والسـامرة وبيـت كرنيليوس ... وإذ النفوس تنتعش ... لقد وُلدت كنيسة نجران فـي هذا اليوم المبارك .

وفي أحد الأمسيات جرى الحديث الأتي بين الأب فيميون وأهـل نجران ولاسيما الأشقاء الثلاثـة شـيهوب وشـينوب وشـيبوب المعروفين بخفة الظل ... سأل شيهوب الأب فيميـون : حقيقـة إنني في حيرة .. هل الله الذي نعبده هو واحد أم ثلاثة ؟

الأب : قل لي يا شيهوب ... أترى الشمس ؟

شيهوب : كيف أراها وقد غابت عنا ؟!

الأب : أقصد عندما تتوسط الشمس كبد السماء ...هل تراها ؟

شيهوب : وهل أقدر أن أنظر إليها في قوتها ؟! هل أنا في غنـى عن نظري ؟!

الأب : وبدون أن تنظر للشمس في قوتها فبلاشك أنت تعرفـها وتدركها ياشيهوب .

شيهوب : كيف أعرفها وأنا لم أصعد إليها ؟!... وكيف أدركـها

وأنا لم ألمسها ؟!

الأب : الحقيقة يا شيهوب إنك وجَّهت نظري إلى نقطة أخرى ... إن كانت الشمس إحدى خلائق الله لا نستطيع أن ننظر إليها في قوتها لئلا نصاب بالعمى ولا نقدر أن نصعد إليها ، ولا نستطيع أدركها .. فكم وكم خالق الشمس ؟! ...من يقدر أن يدركه؟!

شيهوب : لقد فهمت ... فهمت تماما ... فهمت كل شئ .

الأب : ماذا فهمت يا شيهوب ؟

شيهوب : فهمت أنه لا يمكنني أن أفهم كيف يكون الله واحد وثلاثة .

الأب : لم أقصد هذا يا شيهوب ... وعلى كلٍ نعود إلى الشمس... هل الشمس واحدة أم ثلاثة ؟

صمت شيهوب مع أهله فواصل الأب حديثه : الشمس واحدة وهي أيضا ثلاثة في وقت واحد ..كيف يكون هذا ؟!

قال شيبوب شقيق شيهوب : نحن نعرف شمسا واحدة في أرض نجران ، وقد تكون هناك شمسا أخرى في بلاد الصين وثالثة في بلاد المغرب . .

ضحك بعض الرجال الذين اعتادوا السفر إلى بلاد الشام وغيرها فقالوا : لا ... ليس هكذا ياشيبوب هي شمس واحدة تضئ كل العالم .

الأب : انظروا يا أخواتي إلى الشمس التي تغطي أماكن لا حدود لها .. فكم وكم خالق الشمس ؟! ومع هذا فإننا نعود إلى ذات السؤال هل الشمس واحدة أم ثلاثة ؟!

صمت أهل نجران فقال الأب فيميون : الشمس هي واحدة ياأخوتي وهي أيضا ثلاثة ... قرص الشمس الذي لا ندركه ولا نلمسه، وضوء الشمس الذي نبصره لأنه ينير عالمنا ، وحرارة الشمس التي نشعر بها وتبعث فينا الدفء ،والقرص والضوء والحرارة شمس واحدة ...دعوني أسألكم سؤلا آخر : ما هو الأسبق في الوجود القرص أو الضوء أو الحرارة .

تسرع شيبوب قائلا : طبعا القرص أسبق في الوجود ...

الأب : كيف ياشيبوب ... هل وُجِد قرص الشمس يوما ما وكان معتماً بارداً ؟

شيبوب : لم أكن هناك حين خلق الله الشمس .

الأب : حقا لم تكن هناك ، ولكن العقل يخبرنا أنه لا توجد نـــار بدون ضوء وحرارة وهكذا قرص الشمس لا يمكن أن يوجد بــلا نور ولا حرارة وإلا ما كانت تدعى شمساً ... نترك الآن مؤقتـــا موضوع الشمس وندخل فـــي جوهـــر الموضـــوع .. هـل الله موجود ؟

شيهوب : لو لم يكن موجودا إذا ما هـــو النـــور الـــذي عاينـــاه بأعيننا؟

الأب : إذن الله موجود ، وهذا الوجود دعاه الإنجيل بـــ " الآب " أي الأصل .. الله هو أصل الوجود وهو واجب الوجود ... وهو الكائن منذ الأزل وإلى الأبد ... وهل الله عاقل ؟

شيبوب : بلا شك الذي خلق الإنسان وزيَّنه بالعقل حاشا لـــــه أن يكون غير عاقل ..

الأب : عقل الله هذا دعاه الإنجيل " الابن " أو " الكلمة " وأخـيرا هل الله حي ؟

شيهوب : الواهب الحياة لكل كائن حي كيف لا يكون حياً ؟!

الأب : حياة الله هذه دعاها الإنجيل " روح الله القـــدوس " والآن

نأتي للسؤال الهام هل قرص الشمس وضوء الشمس وحرارة الشمس شمس واحدة أو ثلاثة شموس ؟

أجاب الجميع : شمس واحدة .

الأب : وهل وجود الله وعقل الله وحياة الله هم إله واحد أو ثلاثة آلهة ؟

أجاب الجميع : هو إله واحد .

الأب : وإن طبقنا الكلام على الإنسان الذي خلق على صورة الله.. هل جسد شيهوب وعقل شيهوب وروح شيهوب هم شخص واحد أو ثلاثة أشخاص ؟

أجاب الجميع : شخص واحد .

الأب : وهل جسد الإنسان هو عقل الإنسان وهو روح الإنسان ؟

شينوب : كلا .. الجسد غير العقل غير الروح ولكن الثلاثة واحد

الأب : هكذا الآب غير الابن غير الروح القدس ولكن الثلاثة واحد منفصلون باتحاد ، ومتحدون بانفصال .

وأخذ الأب فيميون يعلمهم ويرشدهم ويعظهم كما أنه علمهم ترنيمة بسيطة توضح الإيمان القويم بالثالوث القدوس :

القرار:

الله في نجران   في كل زمان ومكان
أقوى من كل كائن   محب للإنسان

+ الله موجود بذاته   ناطق بكلمته
حي بروحه   ليس سواه إله

+ الابن في الآب   والآب في الابن
والروح القدس   روح الآب والابن

+ لمحبته خلقنا   جه الشيطان أسقطنا
هل معقول يتركنا ؟ !   مش ممكن أبداً

+ لبس جسد إنسان   صلبوه الرومان
إبليس صار حيران   قال آخد روحه الآن

+ يسوع سحق الشيطان   وسحب منه السلطان
خلص بني الإنسان   طوباه من له إيمان

+ قام وصعد كمان   يعد لينا مكان
ها يجي وياخدنا   يا فرحنا يا هنانا

الفصل السابع : المدينة المنيرة

مرت الأيام هادئة وجميلة مثل أيام الخطبة الجميلـــة .... وأثمـــرت شجرة الإيمان .. أرسل الأب فيميون إلى كنيسة أورشليم شـــيهوب وشينوب وشيبوب لكيما ينالوا نعمة الكهنوت ، وعشــــرة آخـــرون لينالوا نعمة الشموسية ، كما إنهم أحضروا زيت الميرون المقـــدس الذي لا يلمسه أحد غير الأباء الكهنة .. بنيت الكنـــائس واتســـعت الخدمة وكثرت النماذج الحية من القديســـين والقديســـات .. لقـــد أضاءت شريعة السماء أرض نجران .. شريعة الرحمة والســـلام .. شريعة وحدانية الله .. شريعة الزوجة الواحدة .. شريعة المحبـــة الكاملة .

وبلغ فيميون من العمر تسعين عاما فجمع بين حكمة الشيوخ وقـــوة الشباب .. ما أجمل طلعته البهية وشيبته الصالحة التي تبعث السلام في القلب حتى يخال للناظر إليه إنه يرى ملاكا .. وقبيـــل نهايـــة حياته أراد أن يطمئن على الكرم الذي زرعه ورواه بحياته .. أراد أن يستريح من جهة الرسالة العظيمة التي كرّمه بها الله القديـــر ، فطلب منه بدالة عظيمة أن يطمئنه على مســـتقبل كنيســـة نجـــران

فاستجابت السماء لدعواه وبات ليلته وإذ هو في حلم جميل جميل حيث عاين أمجاد وعظمة أرض نجران.عاش ساعات استمتع بها بسيمفونية الاستشهاد الرائعة على مذبح الحب الإلهي حيث عزف الشهداء أجمل الألحان على أوتار الشجاعة والبذل والفداء ، والنصرة على الموت ، وغلبة الشيطان والعالم والجسد ، واستعلان أمجاد الأبدية السعيدة .

وإذ بقطار الزمن يقطع نحو مائتين عاما في لحظة ، وإذ بالنجاشي ملك الحبشة المسيحي يُظهِر اهتمامه بمنطقة نجران التي تعاني من قلاقل ومنازعات بسبب اليهود المتعصبين لذلك فهو يفكر جدياً أن يُرسِل جيشاً عظيماً إلى هذه المنطقة من أجل استقرار الأمور واستتباب الأمن لتصبح مقاطعة مسيحية مستقرة ولاسيما أن الذي تولى حكم نجران رجل يهودي يدعى" دونواس " كان يكره المسيحيين ويعيّرهم بأنهم يعبدون ابن النجار المصلوب الذي سرق تلاميذه جسده ، فرد عليه المسيحيون قائلين : ليس جسد المسيح الذي سرق بل أنت الذي سرقك الشيطان ، ولذلك لقبوه بـ "المسروق " .

علم دونواس اليهودي المتعصب ملك نجران بنية النجاشي فأسرع

بالاتصال بماندير ملك الحيرة وكان ثالثهما الشيطان فتآمروا على إبادة المسيحيين في منطقة نجران... وسريعا أصدر دونواس أمره بأن يعتنق جميع المسيحيين الديانة اليهودية ، وينكروا ذاك الناصري وإلا تعرضوا للتعذيب والقتل كما أن كل من يخفي مسيحيا تصادر أمواله .. وفي أوائل سنة ٥٢٣م أرسل دونواس إلى " ظفار " ثلاثة من قادته واحد يهودي والآخران يدّعيان إنهما مسيحيان والمسيحية منهما بريئة وهما عبدالله بن ملك وكوشب بن موهب ومعهم رسالة من الملك دونواس إلى رؤساء وأشراف ظفار يؤمنهم على حياتهم إن هم سلّموا مدينتهم فلن يقتلهم ولن يعذبهم بل سيسمح لهم بالهجرة إلى الحبشة ، وللأسف صدّق أهل ظفار الطيبون وعوده لاسيما عندما رأوا اثنين من قادته مسيحيين.خرج ثلاثمائة رجل من عظماء ظفار ورجال الإكليروس ، وعلى رأسهم " أبابوت " رئيس كهنة ظفار للقاء الملك الذي وثقوا فيه ، فرحب بهم الملك الخبيث ولاطفهم ثم أصدر أمره للجنود فأعملوا فيهم السيوف حتى قتلوهم جميعا في منتصف النهار ، والقوا بأجسادهم في مقبرة جماعية ، وفي الصباح هجم الجنود على المدينة وقصدوا الكنيسة التي كان بها مائتي شخص فأحرقوها بمن فيها ، وكان هذا

هو اليوم الأول للاستشهاد في نجران .. حيث ظفـــرت خمســمائة نفس من أهل ظفار بأكاليل المجد والفخار...صعدت هـــذه الأرواح العظيمة للسماء ذبيحة حية لله تعلن نصرتها وعظم محبتها للملـــك المسيح.

ثم أشعل دونواس نيران الاضطهاد فـــي منطقـــة الازار ومكـــة ، وكانت النتيجة المشرفة حقا هو تمسك أهل ازار بإيمانهم القويم.

لقد استهانوا بكل الآلام حتى الموت لـــم يقـــو علـــى أن يزحـــزح إخلاصهم للملك المسيح .. انطلقت أربعة عشر ألف نفساً من منطقة الازار بعد أن اصطبغت بالدم واتزرت بثياب البهاء والمجد .. أمـــا الملك المنافق دونواس فهو العبد الذي سيظهر أمام كرسي المســـيح وليس عليه إزار العرس فسيطرد شر طرده إلى جهنم مع شـــيطانه اللعين .. كما أسر هذا الملك اليهودي إحـــدى عشـــرة ألفـــاً مـــن المسيحيين وسلب ممتلكاتهم .

ثم أرسل هذا الملك جيشاً كبيراً إلى مدينة نجـــران بيـــت القضيـــد وعاصمة المنطقة وفخر المسيحيين ، ولكن جيشه أرتد خاسئا أمـــام شجاعة وبسالة رجال نجران الذين دفعوا الملك الغازي عن مدينتهم ولم يصب أحدهم بأي أذى ، فعاد دونواس وأرسل جيشا آخر أكـــبر

وأعظم من الجيش الأول ولكنه لقي نفس المصير ، فعـــاد الملــك وأرسل جيشا قوامه مائة وعشرين ألف جنــدي وحــاصر مدينــة نجران لمدة ستة أشهر ولم يقو عليها بسبب أســـوارها المنيعــة ، وأيضا بسبب شجاعة قائدها العسكري الحارث بن كعب .

وعندما زادت مدة الحصار أرسل أهل نجران للملك يطلبون منـــه الجلاء عن مدينتهم وتعهدوا له بدفع الجزيــة ولاســيما إن الملــك الشرير منع المياه (المخزونة في خندق خــارج المدينــة)عنـــهم فتعرضوا للعطش ، ونفذ الطعام داخل المدينة فتعرضـــوا للجــوع أيضاً ، ورغم أنهم عرضوا عليه دفع الجزية التي يطلبها إلا انـــه رفض ذلك لأنه كان سفاحاً متعطشاً لدماء المسيحيين .

وكما فعل دونواس مع أهل ظفار فعل مع أهل نجران فأرسل إليــهم كاهنه اليهودي يحمل التوراة ورسالة منه يؤمنهم علـــى أرواحـــهم وأملاكهم إن هم فتحوا مدينتهم وخضعوا له ، وأخذ الكاهن اليهودي يحلف لهم بالتوراة وتابوت العهد والأباء إبراهيم وأسحق ويعقـــوب على صدق وعود الملك ، وللأسف صدّقه أشراف المدينة الطيبـــون كما فعل أهل ظفار تماماً .

خرج إلى الملك ثلاثمائة شخص من أشراف المدينة فرحـــب بـــهم

دونواس كما رحب بأهل ظفار ، وقدم لهم الطعام وطلب منهم خروج ألف آخرون من عظماء المدينة ليمكن التفاوض مع قاعدة عريضة تقنع الشعب بشروط الاتفاق ، فأرسلوا للمدينة فخرج ألف رجل من عظماء نجران علمانيين وشمامسة وكهنة ورهبان وعلى رأسهم الحارث بن كعب ... أمر الملك بتقسيمهم فرقا خمسين خمسين ، ثم أمر بتجريدهم من أسلحتهم وأسرهم فظلوا واقفين أمامه .

أما هو فقد أطلق جنوده مع قادتهم من اليهود والوثنيين فهجموا على المدينة ، وإذ بأول رجل يلقاهم يسألونه: هل أنت مسيحي ؟

أجاب : إن كان لي استحقاق فأنا بمسيحي .

القائد : إن كنت مسيحيا فمد يدك اليمنى .

فمدها سريعا فاشهر أحدهم سيفه وهوى على يده فبترها .

وعادوا يقولون له : إن كنت مازلت مصرا على مسيحيتك فمد يدك الأخرى .

فمدها للحال بفرح فلحقت بأختها .

ثم سألوه : هل مازلت مسيحياً ؟

أجاب : في الحياة أنا مسيحي وفي الممات أيضاً ، والمجد لله سيدنا

يسوع المسيح الذي حسبني مستحقا لذلك .
فهجموا عليه وقطعوا رجليه أيضا وقتلوه ....
هذا هو التمييز الشيطاني المبني على أساس العقيدة ... لم يحاكموه على جريمة صنعها ولم يعاقبوه على جرم اقترفه إنما اضطهدوه وقتلوه بسبب عقيدته السماوية ... ياللشرف العظيم الذي ناله هذا البطل الشجاع ويالالخزى العظيم الذي لحق بهؤلاء القوم وملكهم .
قبض الجنود على الكثير من المسيحيين ، ولكن العجيب أن القادة حسب وصية الملك الشرير ظلوا يبحثون ويفتشون عن شئ معين ... ما هو ؟!
لقد طلبوا بإلحاح عظام الشهداء السابقين الذين استشهدوا فرادى من قبل على يد اليهود ، وفعلا حملوا عظام الأنبا بولس أسقف نجران والذي رسمه مار فيلوكسنيوس أسقف " هيرابوليس" واستشهد منذ نحو ثلاثة أعوام على يد يهود ظفار رجماً بالحجار. جمعوا عظام الشهداء والقوا بها في الكنيسة التي ازدحمت بالشعب والمكرسين والإكليروس والشيوخ والعذارى والرهبان .. ثم ماذا فعلوا ؟!
حملوا كميات ضخمة من خشب الأشجار والنخيل والحطب ، وأحاطوا بها الكنيسة ، وأشعلوا النيران لتحترق الكنيسة بمن فيها

من أبطال وعظام للشهداء ، إنه الحقد الشيطاني الدفين ليس علـــى أتباع المسيح الأحياء على الأرض فقط بل وعلى الذين انطلقوا مـن هذا الجسد مكللين بأكاليل الغار والظفار.

كم كان المنظر من الخارج مؤثراً جداً إذ رائحة احتراق الأجســـاد انتشرت تزكم الأنوف ؟!!

وكم كان المنظر من الداخل مملؤ مجداً وبهاءاً ؟!! ....لقـــد وقـــف الأبطال يسبحون الله وإذ بالشهداء أصحاب العظام يظهرون عيانـــاً بياناً ... نظروا الشهيد العظيم الأنبا بولس وبقية الشـــهداء ، ومجـــد الرب أضاء وسطهم ... نظروا السماء مفتوحة وابن الإنسان قـــائم على يمين العظمة ، وأصبحت المسافة بيـــن الكنيســـة المنتصـــرة وبينهم لا شئ بل امتلأت الكنيسة بالخدام غير المتجسدين ، وأخذت هذه المناظر الرائعة ألبابهم وزرعت فيهم القوة على احتمال النيران فلم يحاول إحدهم الهرب خارج المدينة المنيرة... صعدت أرواحهم في زفة جميلة جميلة وسط تهليل الملائكة وفرحة السمائيين حتى إن الأب فيميون وقف مبتسماً مسرورا تسيل دموع الفرحة من عينيـــه افتخاراً بأبنائه الشجعان الجبابرة الذين كرمتهم الســـماء وخصبتـــهم بالاستشهاد .

ومما زاد من روعة المنظر وجماله هو سعى الذين في الخارج للدخول إلى الكنيسة المنيرة المتلألئة بالنيران حتى أن النساء تشجعن وقلن لبعضهن البعض : هلموا أيها الرفاق ... دعونا نستمتع بهذا المنظر العجيب ... ودخلنّ إلى الكنيسة المنيرة ليفزنً بأكاليل المجد.

وكان من بينهم سيدة حملت طفلها البالغ من العمر تسعة أشهر ، وعندما اقتربت من باب الكنيسة حنّت أحشاؤها على ابنها فناجته قائلة : إن أمومتي تمنعني أن أ'نيك في النيران يا ابني ...

وإذ بالطفل ينطق ويقول : هيا .. هيا يا أمي إلى هذه النار التي لا يوجد بعدها نار .

فمجدت اسم الله الذي أنطق الطفل الرضيع واقتحمت النيران وفازت بإكليل المجد مع ابنها ، وفي كل هذا كان الأب فيميون يصلي بدموع وصراخ من اجل أولاده .

نعود ياصديقي إلى الألف والثلاثمائة رجل المجاهدين من رجال نجران مع قائدهم الحارث بن كعب ... لقد أمر هذا الملك الوحشي بتجريد الحارث من ثيابه وأخذ يسخر به : أيها الرجل العجوز العريان ألا تخجل من عريك .ها ها ها ؟!

الحارث : لا ...لا أخجل من عري لان برّ المسيح يكسوني ...
لا أخجل من عري بل هذا عار عليك انت أيها الملك ...
لا أخجل من عري لان هذا إنما يظهر شرك وظلمك .
دونواس : إنك الآن في الحضرة الملكية حقير ذليل أيها الحارث.
الحارث : إنني أقوى منك يا دونواس ... الجميع يعلمون شجاعتي وشهامتي ... لم أتراجع في معركة قط لذلك لا تجد أي اثر لسهم أو سيف في ظهري بينما ازدان صدري بآثار ضربات السيوف التي تلقيتها مثل الأبطال الشجعان .
دونواس : هل تتحداني أيها الحارث ؟!... ومع هذا فإنني مستعد أن أصفح عنك رحمة بشيخوختك . فقط أنكر مسيحك واجحد صليبك ،وإلاَّ قضيت عليك ومن معك .
الحارث : فأين إذا الأقسام والعهود والوعود أيها الملك الهمام صاحب العهود والمواثيق ؟!!
دونواس : دعك من هذه الأوهام .
الحارث : حقا إنك خدعت شعبي الطيب ... أردتُ أن أخرج إليك لأواجهك فأغلقوا أمامي الأبواب ... خضت من قبل سبع معارك وانتصرتُ فيها جميعاً حتى جيش الحميريين البالغ مائة وعشرين

ألفا هزمته بجيشي الصغير الباسل .. طلبت من شعبي ألا يفتحــوا الأبواب لرسلك الأردياء وكاهنك الكــاذب ولا يصدقـوا أقوالـك ووعودك ... أين التوراة أيها الملك ؟! أليس مكتوبا في كتـابك " لا تحلف باسم الرب إلهك باطلا " ؟!!...حقا إنني رأيت ملوكا كثـيرين لكن ملكاً كاذباً لم أر من قبل.

دونواس : دعك يا ابن كعب من كل هذه التفاهات .. أنكر مسـيحك وأنا أطلقك وكفى من لقي حتفه حرقاً بالنار .

الحارث : حاشا لي أن أنكر مسيحي الذي أمنت به منـذ طفولتـي واعتمدت على اسمه .. لصليبه أسجد ومن أجل اسمه أموت.. وهل في شيخوختي هذه أنكر مسيحي وأصير غريبا عنـه ؟! .. إننـي سعيد لأن إلهي أهلني لشرف الاستشهاد من أجل اسمه القـدوس .. الآن علمت كيف يحبني ؟! .. ولما أعطاني النصـرة فـي سـبع معارك من قبل أثق أنه سيمنحني النصرة عليك أيها الملك الشرير .

دونواس : إذاً فلتمت أنت بمفردك يا حارث .. لكن هـؤلاء القـوم الشرفاء الحكماء فأنهم يطيعون كلام ملكهم ، وسأطلق سراحهم

نظر الحارث إلي الرؤساء والعظماء والإكلـيروس والرهبـان وصرخ قائلا : من يخاف السيف فلينفصل عنا .. أليس ملكنا هـو

المسيح ابن الله الحي ؟!

هتف الجميع قائلين : حاشا لنا أن نكفر بالمسيح .. تشجع ياأبانا الحارث ولا تقلق بشأننا .. من أجل إيماننا بالمسيح إلهنا نموت جميعاً معك .

دونواس : وإن مات بعضكم من مثيري الفتنة فلن يموت الجميع.

الحارث يصرخ في الواقفين : من منكم يفكر أن ينكر المسيح ليعيش مع هذا الملك اليهودي ؟

هتف الجميغ ثانية : حاشا لنا أن نكفر بالمسيح .. ورشموا ذواتهم بعلامة الصليب ، فأعلن الفاشل فشله بإصدار أمره بقطع رؤوسهم جميعا في الوادي .

وفي الوادي بسط الجميع أيديهم يصلون حتى اهتز المكان من قوة وحرارة الصلاة :

أيها المسيح إلهنا .. هلم إلى معونتنا ..

أيها المسيح إلهنا .. أقبل أرواحنا كذبيحة حية مرضية ..

أيها المسيح إلهنا .. أهلنا لمشاهدة مجدك ..

أيها المسيح إلهنا .. يا من اعترفنا به أمام الجميع أعترف بنا أمام أبيك السماوي ..

أيها المسيح إلهنا .. أبني كنيستك التي أحرقـها هـذا اليـهودي الظالم

وصرخ القائد العظيم في الواقفين قائلاً :

سلام المسيح إلهنا الذي أعطاه للص اليمين على الصليب فليكـن معنا أيها الاخوة .

وجثي على ركبتيه فضرب السياف رأسه وتبعه قومه الجبـابرة مُسلمين أنفسهم للسيف من أجل عظم محبتهم في الملك المسـيح وأما الملائكة فوقفوا صفوفاً صفوفاً يتوجون من يكمـل جـهاده بتيجان نورانية خالدة لا تفنى على مر الأيـام والدهـور .. مـا أحلاها وما أجملها ؟!! كل أمجاد العالم وغناه وعظمتـه تُحتَقـر احتقاراً أمام هذه التيجان النورانية .. وقف الأب فيميون يطـوّب أولاده : طوبى لكم أيها الشهداء الأبطال هنيئـاً لكـم بالأكـاليل النورانية ...

وقام أهل نجران بتكفين الحارث ودفنه بكرامـة عظيمـة أمـام المدخل الرئيسي لمدينتهم بجوار السور .

أما زوجته المباركة " رحمة " ذات الحسب والنسب مـن قبيلـة

"جو" أعظم قبائل نجران .. المرأة الغنية في الإيمـان والجمـال والمال حتى أنها أقرضت الملك السابق لدونواس مائة وعشـرين ألف دينار ثم أعفته من السداد ، ولم تكف عن عمل الخير مـع الجميع ولاسيما الفقراء .. خرجت رحمة مع مجموعة كبيرة مـن النساء يوم الأربعاء ١٧ نوفمبر لكيما تلحق بزوجها وأهل مدينتها الذين نالوا أكاليل الشهادة .. وقفت أمام الملك المنـافق تتحـداه وتفضحه ، والملك في خبثه أمر بقتل جميع النساء اللواتي معـها وتركها حية لعله ينجح فيما بعد في استمالتها لديانته .. فعـادت رحمة إلى بيتها حزينة مهمومة .

وفي يوم الأحد التالي استدعاها الملك وهو يـأمل أن تضعـف أمامه وتنكر مسيحها فأخذت معها ابنتـها " أومـة " وحفيدتـها الصبية الشجاعة " روحامة " التي تبلغ من العمر تسع سنوات .. أخذ دونواس يلاطفها وينصحها قائلا : أشفقي على نفسك وعلـى ابنتك وحفيدتك يارحمة ... فالجميع يعرفون رجاحة عقلك وعظـم غناك ووفرة جمالك ... أين يذهب غناك وذهبك يارحمة ؟

رحمة : ذهب الأرض إلى الأرض يذهـب ، وكذلـك فضتـي

ومجوهراتي ... إنني أترك كل شئ بإرادتي لكيما أنـــال الأجـــر السمائي الذي لا يزول .

دونواس : كيف تُضحَين بجمالك يا رحمة ؟

رحمة : ليس جمالي فقط بل وحياتي أُقدمها مسرورة على مذبـــح الحب الإلهي لإلهي المصلوب عني .

دونواس : ألا يكفيك الاعتراف بالمسيح أنـــه إنســـان فقـــط؟! .. ابصقي على الصليب وأنا أطلقك أنت وبنتك وحفيدتك .

وهنا امتلأت الصبية " روحامة " غيرة وانتهرت الملك قائلـــــة : أيها الملك الشرير كيف تُهين جدتي الشريفة الحسب والنسب؟ أيها الملك الشرير كيف تقتل جدي القائد العظيـــم الـــهمام ؟!... عندما قتلته كان هو الأقوى منك ، وكيف تحرق الكنيســـة بيـــت الله ؟! ...لابد أن صاحب الكنيسة سينتقم منك شر نقمة ، ثم تقـف أمامه في اليوم الأخير وأنت في خزي عظيم فيحكم عليك ويدينك ويلقيك في النار التي لا تطفأ والدرد الذي لا يموت .

وإذ بالملك الشرير يرتكب حماقة ما بعدها حماقة ... ماذا يفعل ؟ إنه أمر بطرح رحمة على الأرض وذبح روحامة أمـــام عينـــها

وسكب بعض من دمها في فمها ... لم يكتف بهذا بل كــررَّ مـا فعله مع روحامة بأمها أومة وسكب بعض من دمـــها فـــي فـم المجاهدة العظيمة رحمة .

وظنَّ الملك أن رحمة لابد أن تكون قد جُنَتْ أو أُصيبــتْ بلوثــة أذهبت عقلها ، فسألها ساخِراً : ما رأيك يارحمة فـــي طعـم دم ابنتك وحفيدتك ؟

أجابت المجاهدة بشجاعة غريبة أذهلت الواقفين : لقد كان كتقدمة طاهرة نقية بلا عيب ، لذلك فقد كان لذيذاً في فمي ولروحي .

لم يحتمل الشيطان أكثر من هذا فأعلن فلسه واستشـــاط الملـك غضباً وامتلأ خزياً من هذه السيدة العظيمة ، وأعلـــن وهزيمتـــه بإصدار أمره بقطع رأسها ، فاستقبلها مع اِبنتها وحفيدتها الشهداء والشهيدات وفرح بهنَّ الحارث بن كعـــب ، وزفتـــهنَّ الملائكـــة للسماء في يوم الرب يوم الأحد ٢٠ من نوفمبر ســـنة ٥٢٣ م ، وأعتبر أهل نجران الحارث بن كعب شفيع كنيستهم يعيدون لـــه يوم ٢٥ نوفمبر من كل عام . يوم كمال جهاد المدينة المنيرة .

أما آمة الحارث " مانحة " والتي كانت متعجرفة سليطة اللســـان

سيئة الأخلاق لها خشونة الرجال حتى كان الجميع يتحاشـــونها، فقد تمنطّقت بمنطقة الرجال وأخذت تجرى في شوارع المدينـــة تشجع الباقين على الاستشهاد قائلة :

ياأهل نجران ... أنتم تعلمون قباحتي من قبل ... اليوم لن تصـدر مني أية قباحة بعد ... صدقوني واتبعوني لنفوز بالأكاليل المعـدَّة للشهداء ... فرصة اليوم لن نجدها الغد ... كل يخـــاف ويختبـئ فهو ناكر وجاحد لسيده المسيح .

وأقبلت إلى الملك ، وما أن رأها يهود المدينة حتى قالوا للملـك : هذه هي شيطانة المسيحيين ومسكن جميع الأرواح النجسة .

قالت للملك باستهزاء : أيها الملك اليهودي الذابح المسـيحيين اِذبحني فإني أنا أيضاً مسيحية .

دونواس : من أنتِ أيتها الشريرة ؟

مانحة : أنا مانحة آمة القائد الهُمام الحارث بن كعب الذي قتلتـــه هو وزوجته وفشلت في أن تجعله يتبع ملتك ...

وإذ رأى الملك سلاطة لسانها أمر بتجريدها من ملابسها كما فعل مع سيدها الحارث ، فصرخت مانحة في وجهه قائلـــة : عـارٌ

عليكَ أيها الملك وعارٌ على كل اليهود رفقاؤك أن تعريني مـــن ملابسي ، ومع هذا فإنني لا أخجل من عريّ لأنني قبلـــت هــذا بإرادتي كما أن ثوب برّ المسيح يغطيني ... هل نسيت أيها الملك يوم أسرك جيش الأحباش وأرادوا قتلك لـــولا تدخـل التــاجر المسيحي فعفوا عنك ؟! هل عوضاً عن شكرك للمسيحيين الذيـن أنقذوا حياتك تقتلهم وتسلب أموالهم ؟! أليس الذي يقابل الإحســان بالإساءة هو شيطان رجيم ؟!!

استشاط الملك غضباً وتفنن في عذابها فأمر جنوده فربطوا إحدى قدميها في حمار والأخرى في ثور وأخذوا يضربونـــهما ومـــع تفاوت سرعتهما تعرضت مانحة لآلام رهيبـــة ... طـــافوا بـــها شوارع المدينة ثلاث مرات حتى فـــاضت روحــها وانطلقــت للأمجاد السمائية.

ولم يكتف الملك الشرير بهذا بل جمع كل الصبية والفتيات مـــن سن خمس سنوات إلى سن خمسة عشر سنة وأمر بقتلهم جميعاً ، فحملت الملائكة أرواحهم إلى السماء ، وبلغ عددهم ألف مـــائتين تسعة وسبعون نفساً ... حقاً أن المدينة قد اســـتضاءت ولمعـــت

بأرواح الشهداء ... إنها حفلة استشهاد جماعي لمدينة نجران التي ضارعت مدينتي أخميم واسنا .

وهنا أقبل ملاكاً هادئاً جميلاً إلى الأب فيميون يقـول لـه : ألا يكفيك أيها الأب الطوباوي ما رأيته من أمجاد نجران ؟!

الأب فيميون : كلا ... كلا أيها الملاك ... إنني فخور بـالصور المشرفة التي سيقدمها أولادي من شعب نجران ... حقاً أن هـذه الأمور ذكرتني بمواكب ومواقف الاستشهاد الرائعة فـي مدينـة الإسكندرية

ثم أطرق الأب برأسه مستكملاً حديثه :

كم كان موقفي مخزيا وأنا أقبض على المسيحيين وأقودهم للنار والأسود الجائعة والزيت المغلي والسيف والصليب؟!

وهبطت من عينيه دمعه كبيرة فمسحها له الملاك قائلا : لا بكـاء في مدينة السعادة ..

و الأب فيميون تنهد قائلا:

كم أشكر الله الذي افتقدني بنعمته وشرفني بالرسالة العظيمة ؟!

هذه الأمور أيها الملاك ذكرتني بأختي كريس وحبيبتي لمبـاس

التي قالت لي : " أنك لن ترَ الموت قبل أن تعـــاين الحيــاة " .. وهوذا أنا أُعاين الحياة في مدينة الأحياء .. أُعاين المجـــد فـــي مدينة الأمجاد .. أعاين النور والبهاء في أورشليم الجديـــدة .. أُعاين السعادة في مدينة السعادة كم أنا فخور أيها الملاك بأولادي وبناتي من شعب نجران؟!! .. والآن أستسمحك أيها المـــلاك أن تُرِيني ولو القليل أيضاً من شجاعة أولادي وبناتي .

الملاك : إن محبة خـــالقي لــكَ تجعلنــي أطيعــك أيــها الأب الطوباوي.. الآن سأريك منظرين مشرقين جداً جداً . إحداهمـــا للشماسة اليشبع والآخر للطفل بيسر .

وبدأ الأب فيميون يعود إلى مسرح الأحداث وإذا بالشماسة اليشبع شقيقة الأنبا بولس الأسقف الشهيد يحجزها بعض محبيها في أحـد المنازل لأنها تريد أن تنطلق إلى ساحة الاستشهاد حيث الكنيســة المنيرة ، وإذ هي تهرب من المنزل .. تركض وتصرخ قائلـــة : سوف آتي معكم يا آبائي وإِخوتي .. سوف آتي معكم إلى المسيح إلهي.

قبض عليها اليهود وقيدوها بأمر الملك بحبـــال رفيعـــة جـــداً ..

ربطوها بأوتاد في الأرض وظلوا يشدُّون القيود حتى إنغرست الحبال في صدرها وسالت دمائها غزيرة .. ثم صنعوا تاجاً من طين ووضعوه على رأسها مستهزئين بها قائلين : " هذا هو تاجك ياخادمة ابن النجار !! "

"ثم سكبوا زيتاً مغلياً على رأسها حتى تسلخ جلدها واحترق وهم يسألونها : هل من مزيد ؟! ..

وإذ فقدت القدرة على الكلام أومأت برأسها بالإيجاب فأخرجوها خارج المدينة وعروها وربطوها في جمل جامح ، وقد علّقوا في رقبته أجراساً وضربوه ، فهاج وجمح وهو يسحل الشماسة المباركة ، وكلما سمع صوت الأجراس كلما اِزداد هياجاً وهي لا تكف عن الصلاة .

وفي اليوم التالي اِنطلق ثلاثة شبان شجعان من أقاربها يبحثون عنها ويقتفون أثار الجمل حتى عثروا عليها مشتبكة في جزع شجرة ضخمة والجمل بجوارها مخنوق ، ففكُّوا قيودها ، وعاد أحدهم سريعاً إلى المدينة حيث دخلها عبر مجرى مائي يمرّ تحت السور فأحضر الأكفان من الكتان الأبيض النقي والأطياب

فكفّنوها ودفنوها بإكرام عظيم وعادوا إلى المدينة ممتلئين فرحاً وعزاءاً سمائياً .

أما عن الطفل بيسر الذي يبلغ من العمر ثلاث سنوات فقد كان يتبع أمه لساحة الاستشهاد ، وإذ نظر الملك جالساً على عرشه استهواه منظره وملابسه فترك أمه وركض إليه يداعبه ويُقَبِّل ركبتيهِ فسرَّ به دونواس وسأله : ما اِسمك أيها الرجل الصغير؟

فأجاب الطفل : اِسمي بيسر .

أراد الملك أن يمنحه هدية عظيمة أو أي شئ يريده فسأله : ماذا تريد ياابني ؟

بيسر : أريدُ أن أموتَ مع أمي .. هي قالت لي هيا نمضي ونموت على اِسم المسيح لأن الملك اليهودي يقتل المسيحيين .

الملك : ومن أين تعرف المسيح ؟

بيسر : إنني أراه كل يوم أنا وأمي في الكنيسة .. هل تأتي معي لأريك إياه ؟!

الملك : أتحبني أنا أم تحب أمك ؟

بيسر : إنني أحب أمي أكثر منك .

الملك : أتحبني أنا الملك أم تحب المسيح بن النجار أكثر مني ؟
بيسر : من أنت ؟ هل أنت الملك المسيحي ؟
الملك : أنا الملك اليهودي الذي يحب بيسر .
بيسر : وبيسر لا يحبكَ بل يحب المسيح أكثر منك لأنه أفضل منك .
الملك : دعك من أمك ولتبقى معي وسأعطيك الجوز واللوز والبندق وكل ما تحبه .
بيسر : لن آكل جوز اليهودي ، ولا أمي تأكله أيضاً .
الملك : دعك من المسيح .. أنا الملك أفضل من المسيح النجار المصلوب كما أني أحبك أكثر منه .
بيسر : يا إلهي ! .. كيف أترك المسيح إلهي ؟! .. دعني أذهب إلى أمي لئلا تموت وحدها وتتركني .. أُتركني وإلاًّ ضربتك، ودعوت أمي لتضربك أيضاً .
الملك : فلماذا جئت إليَّ وقبَّلتَ ركبتيَّ ؟
بيسر : كنت أظنُّ أنك الملك المسيحي .
الملك : كن معي .. سأجعلك ابناً لي .. ستصبح ابن الملك

العظيم دونواس .

بيسر : بل أذهب إلى أمي فرائحتها ذكية أمـــا رائحتــك فــهي كريهة

نظر الملك للجنود الواقفين حوله وقال :

انظروا وتأملوا النسل الردئ .. كيف يتكلم ؟! حقاً أن العـــراف والساحر استطاع أن يضلّ حتى الأطفال أيضاً !!

تدخل أحد الوزراء قائلاً للطفل : تعالى معي يا حبيبي لنذهب إلى الملكة لتكون أماً لك ..

بيسر : ويحك . إن أمي أفضل من الملكة .. أمي تأخذني إلـــى الكنيسة وأما الملكة اليهودية فلن تأخذني إلى الكنيسة .

وعندما وجد بيسر أن الملك يعوقه عن الانطلاق إلى أمه غافلـــه وعضه في فخذه قائلاً : اتركني لأذهب إلى أمي لكي أموت معها ونذهب للقاء المسيح .

ولكن الملك أمر أحد قادته ليأخذه ويعتني به حتى يكبر لعله ينكر المسيح فأخذه القائد وذهب إلى بيته ، وفي طريقه أبصـــر أمـــه فصرخ :

أمي .. أمي .. انظري كيف أخذني اليهود بعيداً .. تعالي وخذيني لأذهب معك .

فقالت الأم : اذهب يا ابني .. إني استودعك المسيح ..

ثم قالت : لا تبك أنني آتية إليك ..

وأرادت أن تذهب إليه فجذبها أحد الجنود بقسوة وضربها برمح في صدرها فغابت عن وعيها وفاضت روحها ونالت إكليل الشهادة

وهنا قال الملاك للأب فيميون : أيكفيك هذا يا سيدي ؟!

الأب فيميون : كلاً .. كلاً لن أترك اِبني بيسر في يد هذا اليهودي يفقده إيمانه .

طمأن الملاك الأب فيميون قائلاً : كلاً ياسيدي إن الطفل بيسر سيشبُ على الإيمان الذي زرعته أمه في أعماقه ، وسينبغ ويتفوق، وسيكون أميناً ومستشاراً للملك جوستنيان الذي سيعتبره أحد المعترفين .

وأطمئنك أيها الأب أن جزءاً من عظام أبناء الشهداء سيذهب في القرن العشرين إلى البلاد المصرية حيث يكون بركة في دير

البراموس وأماكن أخرى ، وإن أحد رهبان الدير سيسجل جـزءا من سيرتهم لأن الأيام والقرون تعجز عـن أن تطفـئ شـموع الشهداء ومحبتهم وكرامتهم .

شكر الأب فيميون الله وشكر ملاك الله الذي قال له : أما أنـت فنام الآن واستريح لتقوم لقرعتك في نهاية الأيام .

الاثنين ١٤/٦/١٩٩٩

شهادة ابسخريون الجندي



رقم الإيداع بدار الكتب: ١٣٧١٢ / ١٩٩٩م.

قداسة البابا شنودة الثالث يحمل رأس شهيد من اخميم

روايات ايمانية :

- غــــروب
- فى النم نــام
- أيام فى نجران
- كـنز قمــران
- البـحار المغـامر
- جبال طرســوس

الثمن ٨٠ قرشاً

